تفسير سورة الأنبياء

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ
مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣
قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٤ بَلۡ قَالُوٓاْ
أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥
مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا
رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ
جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ
وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا
تَعۡقِلُونَ ١٠ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا
ءَاخَرِينَ ١١ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ
إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤
فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾

[الأنبياء: ١-١٥].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حِسَابُهُمْ - غَفْلَةٍ - مُّعْرِضُونَ - ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم - مُّحْدَثٍ - لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ - وَأَسَرُّوا النَّجْوَى - أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ - وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ - الْقَوْلَ - أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ - افْتَرَاهُ - بِآيَةٍ - يُؤْمِنُونَ - ذِكْرُكُمْ - قَصَمْنَا - بَأْسَنَا - يَرْكُضُونَ - مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ - دَعْوَاهُمْ - حَصِيدًا - خَامِدِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حِسَابُهُمْ﴾	وقت حسابهم على أعمالهم ومجازاتهم عليها
﴿غَفْلَةٍ﴾	سهو
﴿مُّعْرِضُونَ﴾	منصرفون (عن القرآن- وعن العمل لليوم الآخر) منشغلون
﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾	تذكير من ربهم (بالقرآن- أو برسول الله ﷺ) القرآن- وقيل رسول الله
﴿مُّحْدَثٍ﴾	جديدٌ إنزاله- نزوله حديث
﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾	منشغلة قلوبهم- ساهيةً قلوبهم
﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾	تناجوا فيما بينهم سرًا- ظهروا لبعض (في السر ما تحدثهم نفوسهم به)
﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾	أفتقبلون السحر
﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾	وأنتم تعلمون أنه سحر

﴿ٱلۡقَوۡلَ﴾	كل ما يُقال
﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾	أحلاط تُرى في المنام- رؤيا كاذبة
﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾	تقَّوله من عند نفسه
﴿بِـَٔايَةٖ﴾	بمعجزة- بدلالة على نبوته
﴿يُؤۡمِنُونَ﴾	يصدقون
﴿ذِكۡرُكُمۡ﴾	شرفكم- عزكم- مجدكم- حدثكم
﴿قَصَمۡنَا﴾	أهلكنا- قصم الظهر كسرة
﴿بَأۡسَنَآ﴾	عذابنا
﴿يَرۡكُضُونَ﴾	يسرعون، يفرون مسرعين
﴿مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾	ما مُتعتم فيه- ما نقمتم فيه الفيم الذي كنت فيه
﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾	دعوتهم – دعاوهم
﴿حَصِيدًا﴾	كالشيء المحصود المقطوع من أصله
﴿خَٰمِدِينَ﴾	هلكى- موتى – لا صوت لهم ولا حراك

❀ ❀ ❀

س: ما معنى الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأولى، وهن من تلادي. وما مدى صحته؟

ج: هذا صحيح وقد أخرجه البخاري رحمه الله.

ومعنى قوله من العتاق الأُولى أي من السور التي نزلت أولًا (يعني نزلت قديمًا بمكة في أوائل البعثة)، وقوله: (وهن من تلادي) أي من حفظي القديم يعني من أوائل ما حفظت من السور.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾.

ج: المعنى والله أعلم، اقترب الوقت الذي يحاسب فيه الناس على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويحاسبون فيه على النعم التي أنعم الله بها عليهم فيها وذلك الحساب يوم القيامة، فالمعنى اقترب يوم الحساب وهو يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ وكما قال ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾.

اقترب ذلك اليوم وقع ذلك فالناس في غفلة عنه معرضون عن العمل به وعن المُذكر به.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا

أمره فيها؟ ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقترابه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ قال في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها، أي: لا يعملون لها، ولا يستعدون من أجلها.

وأورد الحديث السابق لكن من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾.

وقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾ الآية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أبي نُوَاس الشاعر أنه قال: أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول:

النَّاس في غَفَلاتِهِمْ ... وَرَحا المنيَّةِ تَطْحَنُ

فقيل له: من أين أخذ هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ٱقۡتَرَبَ﴾ أي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على أعمالهم. ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس: المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ

وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

وقيل: الناس عموم وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش؛ يدل على ذلك ما بعد من الآيات؛ ومن علم اقتراب الساعة قصر أمله، وطابت نفسه بالتوبة، ولم يركن إلى الدنيا، فكأن ما كان لم يكن إذا ذهب، وكل آت قريب، والموت لا محالة آت؛ وموت كل إنسان قيام ساعته؛ والقيامة أيضا قريبة بالإضافة إلى ما مضى من الزمان، فما بقي من الدنيا أقل مما مضى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ما يأتي هؤلاء المكذبين من قرانٍ يُذكرهم به رسول الله ﷺ حديثٌ إنزاله من عند الله ﷻ إلا استمعوه بلا اكتراث وبلا مبالاة وهم يلعبون لاهية قلوبهم قلبوهم منشغلةً عنه ملتهيةً بغيره أما قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ في معناه أن أهل الظلم أهل الشرك والكفر تناجوا فيما بينهم سرًا وأظهر بعضهم لبعض في السر ما يحيك في صدورهم، وما يضمرونه لهذا القرآن قائلين لبعضهم ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي فكيف يكون رسولًا من عند الله، أتقبلون السحر وتصدقون وأنتم تعلمون أنه سحرٌ كذا قال بعضهم لبعض في شأن هذا القرآن المنزل من عند الله وهكذا اتناجوا فيما بينهم وتأمروا على رسول الله وتناصحوا للتكذيب بهذا القرآن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس،

ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾... الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة: يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: غافلة قلوبهم.

وقوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: وأسرّ هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقكم؟ يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله وللذين من قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ والرفع على الردّ على الأسماء الذين في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسرّوا النجوى، ثم قال: هم الذين ظلموا.

وقوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ يقول: وأظهروا هذا القول

بينهم، وهي النجوى التي أسرّوها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾ قال: قال أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر، وأن ما جاء به سحر، قالوا: أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى أنهم لا يُصغون إلى الوحي الذي أنزل الله على رسوله، والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار، فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أي: جديد إنزاله ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ كما قال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرءونه محضًا لم يشب. ورواه البخاري بنحوه.

وقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أي: قائلين فيما بينهم خفية ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعنونَ رسول الله ﷺ، يستبعدون كونه نبيًا؛ لأنه بَشَرٌ مثلهم، فكيف اختص بالوحي دونهم؛ ولهذا قال: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾؟ أي: أفتتبعونه فتكونون كمن أتى السحر وهو يعلم أنه سحر.

وأورد القرطبي أقوالًا منها:

يريد في النزول وتلاوة جبريل على النبي ﷺ، فإنه كان ينزل سورة بعد سورة، وآية بعد آية، كما كان ينزل الله تعالى عليه في وقت بعد وقت؛ لا أن القرآن مخلوق. وقيل: الذكر ما يذكرهم به النبي ﷺ ويعظهم به. وقال: ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ لأن النبي ﷺ لا ينطق إلا بالوحي، فوعظ النبي ﷺ وتحذيره ذكر، وهو

محدث؛ قال الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١]. ويقال: فلان في مجلس الذكر. وقيل: الذكر الرسول نفسه؛ قال الحسين بن الفضل بدليل ما في سياق الآية ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] ولو أراد بالذكر القرآن لقال: هل هذا إلا أساطير الأولين؛ ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم: ٥١ - ٥٢] يعني محمدا ﷺ. وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١]. ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾ يعني محمدا ﷺ، أو القرآن من النبي ﷺ أو من أمته. ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الواو واو الحال يدل عليه ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ ومعنى ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي يلهون. وقيل: يشتغلون؛ فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهين:

أحدهما: بلذاتهم.

الثاني: بسماع ما يتلى عليهم.

وإن حمل تأويله حلى الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين:

أحدهما: بالدنيا لأنها لعب؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦].

الثاني: يتشاغلون بالقدح فيه، والاعتراض عليه. قال الحسن: كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل وقيل: يستمعون القرآن مستهزئين.

قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ أي ساهية قلوبهم، معرضة عن ذكر الله، متشاغلة عن التأمل والتفهم؛ من قول العرب: لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ألهى لهيا ولهيانا.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي تناجوا بينهم وقالوا: هل هذا

الذكر الذي هو الرسول، أو هل هذا الذي يدعوكم إلا بشر مثلكم، لا يتميز عنكم بشيء، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق كما تفعلون. وما علموا أن الله عز وجل أنه لا يجوز أن يرسل إليهم إلا بشرا ليتفهموا ويعلمهم. ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ﴾ أي إن الذي جاء به محمد ﷺ سحر، فكيف تجيؤون إليه وتتبعونه؟ فأطلع الله نبيه عليه السلام على ما تناجوا به. و«السحر» في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة. ﴿وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ أنه إنسان مثلكم مثل: «وأنتم تعقلون» لأن العقل البصر بالأشياء. وقيل: المعنى؛ أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر. وقيل: المعني؛ أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعرفون الحق؛ ومعنى الكلام التوبيخ.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم أن رسول الله ﷺ لما وصفه أهل الكفر بالذي وصفوه به من الباطل وصفوا القرآن بأنه سحرٌ، وليس من عند الله ﷻ قال مجيبًا ربي يعلمه كل ما يُقال في السماء والأرض، ويعلم صدق الصادق وكذب الكاذب، ويعلم أن ما جئتكم به هو الحق من عنده ليس بسحر ولا كذب ولا شعر ولا كهانة فهو السميع للأقوال كلها السميع لكل شيء العليم بالنوايا وبكل شيء هذا وقد أورد الطبري قراءتين لقوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ أحدهما ﴿قَالَ﴾ والأخرى ﴿قَالَ﴾ ثم قال وكأن الذين قرءوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين ﴿أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ ربي يعلم قول كلّ

قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله، ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي، وحقيقة ما أدعوكم إليه، وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكأن الذين قرءوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا، قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم.

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَاءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقتا المعنى، وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقيل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تعالى مجيبًا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب.

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: الذي يعلم ذلك، لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين، الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إلا الذي يعلم السر في السموات والأرض.

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: السميع لأقوالكم، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوالكم. وفي هذا تهديد لهم ووعيد.

أما قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ فحاصل معناه أنهم (أهل الكفر) وصفوا القرآن بسيء الأوصاف، فمنهم من قال إنه أضغاث أحلام أي أخلاط تُرى في النوم وهلاوس لا معنى لها ومنهم من قال إنه قولٌ مفترى مكذوب!! ومنهم من قال إنه قول شاعرٍ

أما قولهم: ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾.

فحاصل معناه أن أهل الكفر طلبوا معجزة كالتي أوتاها الأنبياء قبل رسولنا محمد ﷺ كناقة صالح عليه السلام أو كعصى موسى عليه السلام أو كإلانة الحديد لداود عليه السلام أو تسخير الرياح والجن لسليمان عليه السلام، أو إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى كما أيّد الله عيسى عليه السلام أو غير ذلك من الآيات التي أيمد بها المرسلون فاقل تعالى مجيبًا عليه في طلبهم الذي طلبوه ﴿ مَآءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: أننا قد أرسلنا الآيان إلى امم قل هؤلاء فما آمنوا بل ازدادوا كفرًا وعنادًا كما قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ فإذا كان الذين من قبلهم من أهل الكفر قد كذبوا بالآيات

أفيؤمن هؤلاء المشركون من قريش وغيرهم، وهم إنما يسيرون على طريقة أسلافهم؟؟ فهذا استبعاد لإيمانهم وإسلامهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وكم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ما صدّقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقرّوا بأنه وحي أوْحَى الله إلى محمد ﷺ، بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر ﴿فَلۡيَأۡتِنَا﴾ به يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا

الذي يتلوه علينا وحي من الله أوحاه إلينا، ﴿بِـَٔايَةٖ﴾ يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدّعي ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ يقول: كما جاءت به الرسل الأوّلون من قَبْله من إحياء المَوتى، وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ﴾ أي فعل حالم، إنما هي رؤيا رآها ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ كل هذا قد كان منهم. وقوله: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ٥﴾ يقول: كما جاء عيسى بالبيِّنات وموسى بالبينات، والرسل.

قال الطبري:

وقال تعالى ذكره: بل قالوا: ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ببل، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب، فاجْتُزِي بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾.

يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذّبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذّبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ يقول: أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهمْ أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسلها مع مجيئها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ

﴿يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ أي الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن، وحيرتهم فيه، وضلالهم عنه. فتارة يجعلونه سحرًا، وتارة يجعلونه شعرًا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة يجعلونه مفتري، كما قال: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٤٨ ﴾ [الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٩].

وقوله: ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ ﴾: يعنون ناقة صالح، وآيات موسى وعيسى. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ ﴾ [الآية] [الإسراء: ٥٩]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾ أي: ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها، بل كذبوا، فأهلكناهم بذلك، أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك؟ كلا بل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٩٧ ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧].

هذا كله، وقد شاهدوا من الآيات الباهرات، والحجج القاطعات، والدلائل البينات، على يدي رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى، وأبهر وأقطع وأقهر، مما شُوهِدَ مع غيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ ﴾ قال الزجاج: أي قالوا الذي يأتي به

أضغاث أحلام. وقال غيره: أي قالوا هو أخلاط كالأحلام المختلطة؛ أي أهاويل رآها في المنام.

وقال القرطبي أيضًا:

فلما رأوا أن الأمر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ أي هم متحيرون لا يستقرون على شيء قالوا ومرة سحر، ومرة أضغاث أحلام، ومرة افتراه، ومرة شاعر. وقيل: أي قال فريق إنه ساحر، وفريق إنه أضغاث أحلام؛ وفريق إنه افتراه، وفريق إنه شاعر. والافتراء الاختلاق؛ وقد تقدم.

﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ أي كما أرسل موسى بالعصا وغيرها من الآيات ومثل ناقة صالح. وكانوا عالمين بأن القرآن ليس بسحر ولا رؤيا ولكن قالوا: ينبغي أن يأتي بآية نقترحها؛ ولم يكن لهم الاقتراح بعدما رأوا آية واحدة. وأيضا إذا لم يؤمنوا بآية هي من جنس ما هم أعلم الناس به، ولا مجال للشبهة فيها فكيف يؤمنون بآية غيرها، ولو أبرأ الأكمه والأبرص لقالوا: هذا من باب الطب، وليس ذلك من صناعتنا، وإنما كان سؤالهم تعنتا إذ كان الله أعطاهم من الآيات ما فيه كفاية. وبين الله عز وجل أنهم لو كانوا يؤمنون لأعطاهم ما سألوه لقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٣].

قوله تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد قوم صالح وقوم فرعون. ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ يريد كان في علمنا هلاكها. ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ يريد يصدقون؛ أي فما آمنوا بالآيات فاستؤصلوا فلو رأى هؤلاء ما اقترحوا لما آمنوا؛ لما سبق من القضاء بأنهم لا يؤمنون أيضا؛ وإنما تأخر عقابهم لعلمنا

بأن في أصلابهم من يؤمن. و﴿مِّن﴾ زائدة في قوله: ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات المباركات: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم اعلم يا رسول الله أننا ما أرسلنا قبلك من رسول إلا وهو من البشر ليس من الملائكة فإذا استنكر هؤلاء إرسال رسولٍ من البشر فمرهم فليأتوا أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم عن صفة الرسل الذين أرسلناهم هل كانوا ملائكة؟ هل كانوا غير البشر!؟ كلا بل هم بشر كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم، فكلهم كانوا بشرًا، وكانوا أجسادًا يأكلون الطعام، لم يكونوا أجسادًا ممتنعين عن الطعام، بل كانوا يأكلون ويشربون، وأيضًا فلم يكن هؤلاء الرسل بمخلدين في الأرض بل يموتون كما يموت غيرهم من البشر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ أي صدقنا في وعدنا به رسلنا من أن سننجيهم وننتقم ممن خالفهم وعاندهم، صدقنا في كل الوعود التي وعدنا بها المرسلين، فأنجيا رسلنا من نشاء من عبادنا وأهلكما المسرفين المتجاوزين للحدود في المعاصي والكفر والطغيان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحي إليهم، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ يقول فاسألوا أهل التوراة والإنجيل قال أبو جعفر: أراه أنا قال: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ﴾

يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، ﴿ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ يقول: ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام.

قال أبو جعفر: وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ فوحَّد الجسد وجعله موحدا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خَلْقا لا يأكلون.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾ يقول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد أخبر الله عنهم ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ .. ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٢] قال الله تبارك وتعالى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحي إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحي إليه أمرنا ونهينا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾: أي لابد لهم من الموت أن يموتوا.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذّبهم أممهم وسألتهم الآيات، فأتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصرّوا على جحودهم نبوّتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التي سألوا، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١١٥] وكقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [هود: ٦٤] ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات، وقوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات،

﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها، وقوله: ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ قال المسرفون هم المشركون.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى رادًّا على من أنكر بعثة الرسل من البشر: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ أي: جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر، لم يكن فيهم أحد من الملائكة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالى حكاية عمن تقدم من الأمم أنهم أنكروا ذلك فقالوا: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن: ٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف: هل كان الرسل الذين أتوهم بشرًا أو ملائكة؟ إنما كانوا بشرًا، وذلك من تمام نِعَمِ الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم.

وقوله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ أي: بل قد كانوا أجسادًا يأكلون الطعام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] أي: قد كانوا بشرا من البشر، يأكلون ويشربون مثل الناس، ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة، وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئًا، كما توهمه المشركون في قولهم: ﴿مَالِ

﴿هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٨﴾ [الفرقان: ٧، ٨].

وقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾ أي: في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وخاصتهم أنهم يوحى إليهم من الله عز وجل، تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكم في خلقه مما يأمر به وينهى عنه.

وقوله: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ أي: الذي وعدهم ربهم: «ليهلكن الظالمين»، صدقهم الله وعده ففعل ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي: أتباعهم من المؤمنين، ﴿وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ أي: المكذبين بما جاءت الرسل به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ هذا رد عليهم في قولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ [الأنبياء: ٣] وتأنيس لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ أي لم يرسل قبلك إلا رجالا. ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ يريد أهل التوراة والإنجيل الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، قاله سفيان. وسماهم أهل الذكر؛ لأنهم كانوا يذكرون خبر الأنبياء مما لم تعرفه العرب. وكان كفار قريش يراجعون أهل الكتاب في آمر محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن زيد: أراد بالذكر القرآن؛ أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ الضمير في ﴿جَعَلۡنَٰهُمۡ﴾

للأنبياء؛ أي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون إلى طعام وشراب ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ٨﴾ يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣] وقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]. و﴿جَسَدًا﴾ اسم جنس؛ ولهذا لم يقل أجسادا، وقيل: لم يقل أجسادا؛ لأنه أراد وما جعلنا كل واحد منهم جسدا. والجسد البدن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ يعني الأنبياء؛ أي بإنجائهم ونصرهم وإهلاك مكذبيهم. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي الذين صدقوا الأنبياء. ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي المشركين.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٠﴾.

ج: المعنى والله أعلم لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا من عند الله ﷻ ولقد أنزلنا عليكم أيها الناس كتابًا فيه عزكم ومجدكم وشرفكم وذكركم بخير إن أنت اتبعتموه فالقرآن شرفٌ وعزٌّ ومجدٌ لمن اتبعه أفلا تفهمون.

وقال بعض العلماء: لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش كتابًا فيه شرفكم، نكون القرآن نزل على رجل منكم ففي هزائمٌ لكم وشرفٌ لكم إن أنتم شكرتم هذه النعمة وأقبلتم عليها أفلا تفهمون وتُقبلون على هذا الشرف؟!! وقال بعض العلماء إن معنى قوله تعالى: ﴿ذِكْرُكُمْ﴾ حديثكم ولكن الأكثرون من أهل العلم على القول الأول والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم

كتابًا فيه ذكركم، فيه حديثكم.

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه شرفكم.

قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، و هو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ يعني القرآن. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لأنها نعت لكتاب؛ والمراد بالذكر هنا الشرف؛ أي فيه شرفكم، مثل ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال عز وجل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ وقيل: فيه ذكركم أي ذكر أم دينكم؛ وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟! وقال مجاهد: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي حديثكم. وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم. وقال سهل بن عبد الله: العمل بما فيه حياتكم.

قلت: وهذه الأقوال بمعنى والأول يعمها؛ إذ هي شرف كلها، والكتاب شرف لنبينا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لأنه معجزته، وهو شرف لنا إن عملنا بما فيه، دليله قول عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «**القرآن حجة لك أو عليك**».

س: وضح معنى: قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المراد والله أعلم أن الله ﷻ يخبر عباده ويذكرهم بالأمم السابقة التي مضت، تلك التي كذبت رسلها وعتت عن أمر ربها فيقول تعالى: ﴿وَكَمْ﴾ وهي للتكثير، لبيان كثرة من أهلكهم الله ﴿قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ودمرنا وأصل القصم كسر الظهور والمراد هنا الإهلاك والتدمير ﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ظالمة لنفسها بشركها بالله ﷻ لأن أهلها ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ وبظلمهم لعباد الله كذلكن فأبدناهم وأفنيناهم ودمرنا بلادهم، كما قال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ وأوجدنا وخلقنا ﴿بَعْدَهَا﴾ بعد القرى التي أهلكناها ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ سكنوا تلك القرى أو سكنوا غيرها من القرى مما حولها، فكذبوا أيضًا فقضينا عليهم بالعذاب كما قضينا على غيرهم، فلما أحسوا بنزول العذاب عليهم، وأو أنه واقع بهم لا محالة وحلَّت بهم بوادره ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ إذا بهم يسرعون في الهرب ويحاولون الهرب مسرعين، ولكن إلى أين الهرب ولات حين مناص، ولات حين مفر فيقال لهم على سبيل التهكم ﴿قيل إن الملائكة تقول ذلك﴾ ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾، لا تهربوا مسرعينن لا تسرعوا في الفرار والهرب، فلا مفرَّ ولا مهرب ﴿وَارْجِعُوا﴾ يُقال لهم هذا على سبيل التهكم والاستهزاء بهم يقال لهم إلى أن تذهبوا ارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعيم وارجعوا إلى بيوتكم لعلكم تُسألون عما حدث لكم فتجيبوا، فحينئذٍ يقولون، وقد علموا أن لا رجوع يا ويلينا إنا كنا ظالمين لأنفسنا فمازالت تلك دعواهم، ما زالوا يقولون ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فاستمروا في هذا القول حتى أهلكناهم عن آخرهم حتى حصدناهم حصدًا وأبدناهم إبادةً

فأصبحوا لا حركة ولا صوت لهم قد خمدوا كما خمدت النار.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: أصله الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرته، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوّله أهل التأويل.

وقوله: ﴿مِن قَرۡيَةٍ كَانَتۡ ظَالِمَةً﴾ أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه، وكأن ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله، وقوله: ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝١١﴾ يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ يقول: فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ۝١٢﴾ يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجْلَى، يَعْدُون منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كَدَّه سياقته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ۝١٣﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أُترفتم فيه: يقول: إلى ما أُنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم.

وأورد بإسناد صحيح لغيره عن قتادة: ﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة.

وقال آخرون: بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيئًا على وجه السخرية والاستهزاء.

وأورد بإسناد صحيح عن قتادة قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئًا استهزاءًا بهم.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وقال: يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا، فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: ﴿ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قطعا بالمناجل، وقوله: ﴿ خَٰمِدِينَ ﴾ يقول: هالكين قد انطفأت شرارتهم، وسكنت حركتهم، فصاروا همودا كما تخمد النار فتطفأ.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن قتادة، قوله: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾...الآية، فلما رأو العذاب وعاينوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ هذه صيغة تكثير، كما قال ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ

عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج: ٤٥]. وقوله: ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾ أي: أمة أخرى بعدهم.

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ ﴾ أي: تيقنوا أن العذاب واقع بهم، كما وعدهم نبيهم، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي: يفرون هاربين.

﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ ﴾ هذا تهكم بهم قدرًا أي: قيل لهم قدرًا: لا تركضوا هاربين من نزول العذاب، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور، والمعيشة والمساكن الطيبة.

قال قتادة: استهزاء بهم.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ أي: عما كنتم فيه من أداء شكر النعمة.

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعهم ذلك، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: ما زالت تلك المقالة، وهي الاعتراف بالظلم، هِجيراهم حتى حصدناهم حصدًا وخمدت حركاتهم وأصواتهم خمودًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ ﴾ أي رأوا عذابنا؛ يقال: أحسست منه ضعفا. وقال الأخفش: ﴿أَحَسُّواْ ﴾ خافوا وتوقعوا. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ أي يهربون ويفرون. والركض العدو بشدة الوطء. والركض تحريك الرجل؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ﴾ [ص: ٤٢] وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل، والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهوم مركوض.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ ﴾ أي لا تفروا. وقيل: إن الملائكة نادتهم لما

انهزموا استهزاء بهم وقالت: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ ﴾ أي إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم، والمترف المتنعم؛ يقال: أترف على فلان أي وسع عليه في معاشه. وإنما أترفهم الله عز وجل كما قال: ﴿وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣]. ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي لعلكم تسألون شيئا من دنياكم؛ استهزاء بهم؛ قاله قتادة. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به. وقيل: المعنى ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول البأس بكم؛ قيل لهم ذلك استهزاء وتقريعا وتوبيخا. ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ ﴾ لما قالت لهم الملائكة: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ ﴾ ونادت بالثارات الأنبياء! ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا أن الله عز وجل هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم، فعند ذلك قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ فاعترفوا بأنهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف. ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ أي لم يزالوا يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾. ﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا ﴾ أي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل؛ قال مجاهد. وقال الحسن: أي بالعذاب. ﴿خَٰمِدِينَ ﴾ أي ميتين. والخمود الهمود كخمود النار إذا طفئت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ تشبيها بانطفاء النار.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا
لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ
فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ
عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا
يَفۡتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ (٢١) لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ
إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ
يُسۡـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ
وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٤) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن
قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ (٢٥) وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ (٢٦) لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ (٢٧) يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ
ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ
فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٩) ﴾

[الأنبياء:١٦-٢٩].

س: وضح معنى ما يلي: ﴿لَهْوًا - لَّدُنَّآ - إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ - نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ - ٱلْبَٰطِلِ - فَيَدْمَغُهُۥ - زَاهِقٌ - ٱلْوَيْلُ - تَصِفُونَ - وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ - لَا يَفْتُرُونَ - ءَالِهَةً - يُنشِرُونَ - فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ - بُرْهَٰنَكُمْ - ذِكْرُ مَن مَّعِىَ - وَذِكْرُ مَن قَبْلِى - مُّكْرَمُونَ - لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ - ٱرْتَضَىٰ - خَشْيَتِهِۦ - مُشْفِقُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿لَهْوًا﴾	ولدًا- زوجةً
﴿لَّدُنَّآ﴾	عندنا
﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾	ما كنا فاعلين ذلك
﴿نَقْذِفُ﴾	نُلقي
﴿بِٱلْحَقِّ﴾	بالقرآن
﴿ٱلْبَٰطِلِ﴾	الكفر- الشيطان- الأكاذيب
﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾	فيهلكه- يكسر دماغه
﴿زَاهِقٌ﴾	باطل- ذاهب
﴿ٱلْوَيْلُ﴾	العذاب الشديد- واد في جهنم
﴿تَصِفُونَ﴾	تكذبون – تصفون ربكم بشيء الأوصاف
﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	لا يتراجعون عن التسبيح والعبادة- لا يكلون ولا يملون
﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾	لا يتعبون

﴿ءَالِهَةً﴾	معبودين
﴿يُنشِرُونَ﴾	يحيون الموتى
﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	تنزه الله
﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾	حجتكم
﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾	الذِّكر الذي معي، وهو القرآن
﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾	(كالتوراة والزبور والإنجيل)
﴿مُّكْرَمُونَ﴾	أكرمهم الله (بأن وفقهم للطاعة)
﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾	لا يتكلمون في شيء إلا بإذن من الله
﴿ٱرْتَضَىٰ﴾	رضي الله عنه
﴿خَشْيَتِهِۦ﴾	خوفه، خوف عقابه
﴿مُشْفِقُونَ﴾	خائنون- حذرون

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثًا ولا باطلًا وعلى سبيل اللعب لو أردنا أن نتخذ زوجة أو ولدًا لاتخذناه من عندنا، ولكن ما كنا لنفعل ذلك، ولكننا نقذف بالحق الذي هو القرآن على الباطل، وهو الكفر والشيطان فيدمغه أي يهلكه ويدمره والله الدفع كما قال بعض العلماء خدش الرأس خدشًا يفضي إلى الموت وكذلك القرآن.....الله به الباطلن فإذا هو ذاهبٌ ولكم يا أهل الكفر الويل بسبب الوصف السيء الذي وصفته به ربكم ﷻ.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يَخْلق ذلك عبثا ولعبا.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ يقول: ما خلقناهما عَبَثا ولا باطلا.

القـول في تأويـل قولـه تعـالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا،

ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾... الآية، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. واللهو بلغة أهل اليمن: المرأة.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولكن ننزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة.

وقوله: ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ يقول: فإذا هو هالك مضمحلٌ.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ والحقّ كتاب الله القرآن، والباطل: إبليس، فيدمغه فإذا هو زاهق: أي ذاهب.

وقوله: ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفِريتكم عليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون.

وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعَبر بها عن معاني

القرآن أقربها إلى فهم سامعيه.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق، أي: بالعدل والقسط، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١]، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا ولا لعبًا، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:٢٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعني: من عندنا، يقول: وما خلقنا جنة ولا نارًا، ولا موتًا، ولا بعثًا، ولا حسابًا.

وقال الحسن، وقتادة، وغيرهما: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ اللهو: المرأة بلسان أهل اليمن.

وقال إبراهيم النَّخعِي: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ﴾ من الحور العين.

وقال عكرمة والسدي: المراد باللهو هاهنا: الولد.

وهذا والذي قبله متلازمان، وهو كقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الزمر:٤]، فنزه نفسه عن اتخاذ الولد مطلقًا، لا سيما عما يقولون من الإفك والباطل، من اتخاذ عيسى، أو العزير أو الملائكة، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء:٤٣].

وقوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ قال قتادة، والسدي، وإبراهيم النخعي، ومغيرة بن مِقْسَم، أي: ما كنا فاعلين.

وقال مجاهد: كل شيء في القرآن «إن» فهو إنكار.

وقوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ أي: نبين الحق فيدحض الباطل؛ ولهذا قال: ﴿ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي: ذاهب مضمحل، ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ ﴾ أي: أيها القائلون: لله ولد، ﴿ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ أي: تقولون وتفترون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ أي عبثا وباطلا؛ بل للتنبيه على أن لها خالقا قادرا يجب امتثال أموه، وأنه يجازي المسيء والمحسن أي ما خلقنا السماء والأرض ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم، ويخالف بعضهم ما أمر به ثم يموتوا ولا يجازوا، ولا يؤمروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح. وهذا اللعب المنفي عن الحكيم ضده الحكمة.

قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ لما اعتقد قوم أن له ولدا قال: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ واللهو المرأة بلغة اليمن.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾ القذف الرمي؛ أي نرمي بالحق على الباطل. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ أي يقهره ويهلكه. وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ، ومنه الدامغة. والحق هنا القرآن، والباطل الشيطان في قول مجاهد؛ قال: وكل ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان. وقيل: الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره. وقيل: أراد بالحق الحجة، وبالباطل شبههم. وقيل: الحق المواعظ، والباطل المعاصي؛ والمعنى متقارب. والقرآن يتضمن الحجة والموعظة. ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي هالك وتالف؛ قاله قتادة. ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ أي العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما

لا يجوز وصفه. وقال ابن عباس: الويل واد في جهنم؛ وقد تقدم. ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي مما تكذبون؛ عن قتادة ومجاهد؛ نظيره ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩] أي بكذبهم. وقيل: مما تصفون الله به من المحال وهو اتخاذه سبحانه الولد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: ولله ﷻ من في السموات والأرض كلهم له عبيد يقضي فيهم بما يشاء ويحكم فيهم بما يريد، فكيف يتخذ زوجةً؟؟ وكيف يتخذ ولدًا؟؟ وكل الخلق له مملوكون هو ربهم وإلههم وخالقهم ومالكهم، والملائكة الذي عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستنكفون عنها ولا يتراجعون عنها ولا يتعبون ولا يعيون (من العيّ) ويستحسرون منها قوله: (حسد) أي كليل مُتعب ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي كليل أما قوله ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي أنه أُلهموا التسبيح فيسبحون ربهم ليلًا ونهار لا يتعبون ولا يملون.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ولا يَعْيَون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبته، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأنى يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تفترون من الكذب على ربكم.

ويقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار

لا يفترون من تسبيحهم إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ و ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فقال: هل يئودك طرفك؟ هل يَئُودك نَفَسُك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتم الطَّرْف والنَّفَس.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلا ونهارًا، فقال: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ ﴾ يعني: الملائكة، ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ ﴾ أي: لا يستنكفون عنها، كما قال: ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾ [النساء:١٧٢].

وقوله: ﴿ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ أي: لا يتعبون ولا يملُّون.

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ فهم دائبون في العمل ليلا ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملا قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أعبد هؤلاء المشركون ألهة مع الله ﷻ، تقدر هذه الألهة على إحياء الموتى ونشرهم من قبورهم أحياء؟؟ كلا فليس في

السموات والأرض آلهة تُعبد بحق مع الله ﷻ بل الكل له عبيد والكل له خضوع ولو كان في السموات والأرض آلهة مع الله لفسدت السموات والأرض فهذا إلهٌ يريد لها البقاء، وهذا إلهٌ يريد لهما الأول، وهذا إله يريد طلوع شمس ذاك لا يريده، فتفسد السموات وتفسد الأرض وكذا سيفسد كل من فيهما فكلُّ إله- إذا كانتا هناك آلهة، نبرأ إليى الله من ذلك إلهٍ سيريد أن ينفذ قوله في المخلوقات وبتضارب الأقوال يحدث الفساد ويحدث الشر فننزه الله عن ذلك كله، فهو الله إلهٌ واحد لا شريك له ولا معبود سواه تنزه ربنا رب العرش عما يصفه به الواصفون المشركون، فهو لا يُسأل عن أي شيء يفعله، وسائر العباد يُسألون عن أعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ ﴾ يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾... إلى قوله: ﴿ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥ ﴾ [يونس: ٣١-٣٥].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ يقول: لفسد أهل السماوات والأرض ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا

﴿يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولِمَ لم تفعل؟ ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يقول: لا يسئل عما يفعل بعبادة، وهم يُسئلون عن أعمالهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة، فقال: بل ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي: أهم يحيون الموتى وينشرونهم من الأرض؟ أي: لا يقدرون على شيء من ذلك. فكيف جعلوها لله ندًا وعبدوها معه.

ثم أخبر تعالى أنه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات الأرض، فقال ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ أي: في السماء والأرض، ﴿لَفَسَدَتَا﴾، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقال هاهنا: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: عما يقولون إن له ولدًا أو شريكًا، سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علوًا كبيرًا.

وقوله: ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدله ولطفه، ﴿ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ أي: وهو سائل خلقه عما يعملون، كقوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ ﴾ [المؤمنون:٨٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ قال المفضل: مقصود هذا الاستفهام الجحد، أي لم يتخذوا آلهة تقدر على الإحياء. وقيل: «أم» بمعنى «هل» أي هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض يحيون الموتى. ولا تكون «أم» هنا بمعنى بل؛ لأن ذلك يوجب لهم إنشاء الموتى إلا أن تقدر «أم» مع الاستفهام فتكون «أم» المنقطعة فيصح المعنى؛ قاله المبرد. وقيل: «أم» عطف على المعنى أي أفخلقنا السماء والأرض لعبا، أو هذا الذي أضافوه إلينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة؟ أو هل ما اتخذوه من الآلهة في الأرض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة؟. وقيل: ﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠] ثم عطف عليه بالمعاتبة، وعلى هذين التأويلين تكون «أم» متصلة.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم: أفتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ظانين أنها معبودة بحق، وظآنين أنه يصبون فيما يعملون فقل لهؤلاء الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى قل هلم هاتوا حجتكم ودليلكم على صحة ما تصنعون فهذا القرآن الذي معي، وهذه الكتب التي تقدمت ونزلت من قبلي على رسل الله عليهم الصلاة والسلام ليس فيها شيء من ذلك ليس فيها أي دليل ولا أية حجة على أن هناك من يُعبد مع الله ﷻ فليس عند هؤلاء برهان فيما يصنعون ليس عندهم حجةٌ ولا دليل على عبادة غير الله ولكنه أكثرهم جهلة لا يعلمون وجه الحق ولا وجه الصواب ولا يعلمون الكتب ولا يعلمون قدر ربهم فمن ثَمَّ أعرضوا عن الإيمان وأعرضوا عن التوحيد، ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الله ﷻ ما أرسل رسولاً قبل النبي محمدٍ ﷺ إلا يوحي إليه أنه لا إله إلا الله فأطيعون واخضعوا لي واركعوا لي واسجدوا ولا تعبدوا معي إلهًا آخر بهذا الأصل العظيم جاءت الرسل من عند ربها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦] فكل رسول أرسله الله يأمر قومه بعبادة الله ﷻ وحده لا شريك له وترك عبادة الطواغيت.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: بل ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ ﴾ يا محمد: ﴿ قُلْ هَاتُواْ

﴿بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ أي: دليلكم على ما تقولون، ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ﴾ يعني: الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولون وتزعمون، فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق، فأنتم معرضون عنه؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، كما قال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والفطرة شاهدة بذلك أيضا، والمشركون لا برهان لهم، وحجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب، ولهم عذاب شديد.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضرّ، وتخلق وتحيي وتميت، قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة، قوله: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ يقول: هاتوا بينتكم على ما تقولون.

وقوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ﴿ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ يقول: هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم إلى ما صاروا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ قال: حديث من معي، وحديث من قبلي.

وقوله: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلّة فهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٤﴾

عن كتاب الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم «قال أبو جعفر: أظنه أنا قال»: عمل حتى يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أعاد التعجب في اتخاذ الآلهة من دون الله مبالغة في التوبيخ، أي صفتهم كما تقدم في الإنشاء والإحياء، فتكون «أم» بمعنى هل على ما تقدم، فليأتوا بالبرهان على ذلك. وقيل: الأول احتجاج. من حيث المعقول؛ لأنه قال: «هم ينشرون» ويحيون الموتى؛ هيهات! والثاني احتجاج بالمنقول، أي هاتوا برهانكم من هذه الجهة، ففي أي كتاب نزل هذا؟ في القران، أم في الكتب المنزلة سائر الأنبياء؟ ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ بإخلاص التوحيد في القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ﴾ في التوراة والإنجيل، وما أنزل الله من الكتب؛ فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب أن الله أمر باتخاذ آلهة سواه؟ فالشرائع لم تختلف فيما يتعلق بالتوحيد، وإنما اختلفت في

الأوامر والنواهي. وقال قتادة: الإشارة إلى القرآن؛ المعنى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما يلزمهم من الحلال والحرام ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم ممن نجا بالإيمان وهلك بالشرك. وقيل: ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ بما لهم من الثواب على الإيمان والعقاب على الكفر ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ من الأمم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا، وما يفعل بهم في الآخرة. وقيل: معنى الكلام الوعيد والتهديد، أي افعلوا ما شئتم فعن قريب ينكشف الغطاء. وحكى أبو حاتم: أن يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرأ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ مَن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مَن قَبْلِي﴾ بالتنوين وكسر الميم، وزعم أنه لا وجه لهذا. وقال أبو إسحاق الزجاج في هذه القراءة: المعنى؛ هذا ذكر مما أنزل إلي ومما هو معي وذكر من قبلي. وقيل: ذكر كائن من قبلي، أي جئت بما جاءت به الأنبياء من قبلي.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يصدر من الناس عداءٌ للحق، وإنكارٌ لبعض الأمور بسبب قلة العلم، دلَّ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وقول الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨].

وقول عليٍّ رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب بالله ورسوله».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وقالت طوائف من أهل الشرك والكفر وهم اليهود قالوا عزيرٌ ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقالت بعض قبائل العرب الملائكة بنات الله فنزَّه ربنا ﷻ نفسه عما يصفه هؤلاء الواصفون بقوله سبحانه قال بل هؤلاء الذين زعمتم انهم أبناء لله، وهم الملائكة.

عبادٌ أكرمهم الله ﷻ بطاعته، وبالاستقامة على أمره لا يتكلمون إلا بما أوهم الله، وهم ممتثلون أمره عاملون به لا يخالفونه ولا يعصونه، ثم إنه سبحانه وتعالى يعلم ما قدموه من أعمالٍ وأقوال، وما سيعلمون فيما بعد، رحاهم عاملون الآن وكذا يعلم أمر أخرتهم أو دنياهم وماذا سيكونون عليه في آخرتهم وماذا كانوا عليه في دنياهم.

ولا يشفعون لأحدٍ إلا لأحد ارتضاه الله وأذن لهم أن يشفعوا فيه كما قال تعالى ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فمناها والله أعلم، وهم حذرون خوفًا من الله وخشيته من عذابه.

من يقل منهم إن إلهٌ من دونه كما قال إبليس اللعين خذلك نجزيه جهنم، كعاقبه بجهنم، يجعلها له جزاءً كذلك نجزي تعاقب الظالمين، الذي افتروا على الله الكذب وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بربهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته، فقال جلّ ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريًّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذيبا لهم وردّا عليهم، ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ما هو وما هم فيه قائلون وعاملون، وما خلفهم:يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ ﴾ ولا تشفع الملائكة إلا لمن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال الطبري أيضًا: وقوله: ﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾ يقول: وهم من

خوف الله وحذار عقابه أن يحلّ بهم مشفقون، يقول: حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره، وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال، لعنه الله وجعله رجيما، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ردًا على من زعم أن له -تعالى وتقدس- ولدًا من الملائكة، كمن قال ذلك من العرب: إن الملائكة بنات الله، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: الملائكة عباد الله مكرمون عنده، في منازل عالية ومقامات سامية، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمر به بل يبادرون إلى فعله، وهو تعالى عِلْمه

محيط بهم، فلا يخفى عليه منهم خافية، ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ كقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ:٢٣]، في آيات كثيرة في معنى ذلك.

﴿ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ ﴾ أي: من خوفه ورهبته ﴿مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ﴿ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي: من ادعى منهم أنه إله من دون الله، أي: مع الله، ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: كل من قال ذلك، وهذا شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، كقوله: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف: ٨١]، وقوله: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر:٦٥].

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ
وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن
تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا
ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم
بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن
يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ
ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا
تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨
لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن
ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ
فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤١ ﴾

[الأنبياء: ٣٠-٤١].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿رَتْقًا - فَفَتَقْنَٰهُمَا - رَوَٰسِيَ - تَمِيدَ بِهِمْ - فِجَاجًا - سُبُلًا - يَهْتَدُونَ - مَّحْفُوظًا - عَنْ ءَايَٰتِهَا - مُعْرِضُونَ - فَلَكٍ - يَسْبَحُونَ - ٱلْخُلْدَ - وَنَبْلُوكُم - هُزُوًا - بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ - عَجَلٍ - سَأُوْرِيكُمْ - لَا يَكُفُّونَ - بَغْتَةً - فَتَبْهَتُهُمْ - يُنظَرُونَ - فَحَاقَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿رَتْقًا﴾	ملتصقتين
﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾	ففرقنا بينهما (قيل فرقنا بينهم بالهواء) وقيل جُعلت السموات سبعًا بعد أن كانت واحدة، وكذا الأرض جعلت سبع أرضين، وقيل فتقناهما فتحناهما فتقت السماء بالمطر، والأرض بالنبات
﴿رَوَٰسِيَ﴾	جبالًا راسيات
﴿تَمِيدَ بِهِمْ﴾	تميل بهم – تضطرب
﴿فِجَاجًا﴾	مسالك – ممرات
﴿سُبُلًا﴾	طرقًا
﴿يَهْتَدُونَ﴾	يسيرون فيها فيذهبون على أماكنهم وأماكن احتياجتهم

﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾	ممنوعًا من أن يسقط، وممنوعًا من الشياطين أن يقربوا منه على ما فيها من المعجزات والدلالات على قدرة الله ووحدانيته كالشمس والقمر والنجوم والرياح وغير ذلك.
﴿عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ﴾	منصرفون منشغلون
﴿فَلَكٖ﴾	مدار
﴿يَسۡبَحُونَ﴾	يدورون
﴿ٱلۡخُلۡدَ﴾	المعيشة الدائمة بلا موت – الخلود في الدنيا
﴿وَنَبۡلُوكُم﴾	نختبركم
﴿هُزُوًا﴾	استهزاءًا وسخرية
﴿بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾	بذكر اسم الرحمن – بالقرآن
﴿عَجَلٖۚ﴾	أمره أنه عجول
﴿سَأُوْرِيكُمۡ﴾	سأطلعكم – سأجعلكم ترون
﴿لَا يَكُفُّونَ﴾	لا يمنعون
﴿بَغۡتَةٗ﴾	فجأة
﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾	فتحيرهم
﴿يُنظَرُونَ﴾	يؤخرون – يمهلون
﴿فَحَاقَ﴾	فنزل – فحلَّ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن السموات والأرض كانتا ملتصقين ففصلهما الله ﷻ عن بعضها وجعل بينهما الهواء.

الثاني: أن السموات كانتا سماء واحد ففتقها الله وجعلها سبع سموات وكذا جعل الأرض سبع أرضين بعد أن كانت أرضًا واحدة.

الثالث: أن السموات كانت رتقا مسدودة متلاصقة ففتقها الله بالمطر وأن الأرض كذلك كانت ملتصقة لا تنبت ففتقهما الله بالنبات

الرابع: ان الليل كان قبل النهار، وكان الجو كله ليل ففتق الله منه الصبح، كما قال تعالى ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وهذا القول الأخير أبعد الأقوال، والأقوال التي قبله أقوى منه، والله أعلم.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذي كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رَتْقا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووحد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله: ﴿كَانَتَا ﴾ لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر.

وقوله: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ يقول: فصدعناهما وفرجناهما.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق، وبأيْ معنى فتق؟ فقال بعضهم: عنى بذلك أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، ففصل الله بينهما بالهواء.

وأورد من طرقٍ تحسن بمجموعها عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتصقتين.

وبإسناد حسن عن قتادة والحسن: كانتا جميعًا ففصل الله بينهما بهذا الهواء، قال الطبري:

وقال آخرون: بل معنى ذلك أن السماوات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها الله فجعلها سبع سماوات وكذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها، فجعلها سبع أرضين.

وقال آخرون: بل عنى بذلك أن السماوات كانت رتقا لا تمطر، والأرض كذلك رتقا لا تنبت، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال: كانت السماوات رتقا لا ينزل منها مطر، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات، ففتقهما الله، فأنزل مطر السماء، وشق الأرض فأخرج نباتها، وقرأ ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾.

وقال آخرون: إنما قيل ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ لأن الليل كان قبل النهار، ففتق النهار.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات،

ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ على ذلك، وأنه جلّ ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه.

فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك، فكيف قيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة، وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على قدرته التامة، وسلطانه العظيم في خلقه الأشياء، وقهره لجميع المخلوقات، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: الجاحدون لإلهيته العابدون معه غيره، ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق، المستبد بالتدبير، فكيف يليق أن يعبد غيره أو يشرك به ما سواه، ألم يروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي: كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه. فجعل السموات سبعًا، والأرض سبعًا، وفصل بين سماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض؛ ولهذا قال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾ أي: وهم يشاهدون المخلوقات تحدث شيئًا فشيئًا عيانًا، وذلك دليل على وجود

الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء:

فَفِــي كُــلّ شــيء لَــهُ آيَــة تَــدُلّ علَــى أنَّــه وَاحــد

قال سفيان الثوري، عن أبيه، عن عكرمة قال: سئل ابن عباس: الليل كان قبل أو النهار؟ فقال: أرأيتم السموات والأرض حين كانتا رتقًا، هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن كل شيء حيٍّ خلقه الله من الماء.

الثاني: أن كل شيء حيٍّ حياته محفوظة بإذن الله ثم بالماء.

الثالث: أن المراد بالماء ما الصلب (المني) والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كلّ شيء.

فإن قال قائل: وكيف خصّ كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.

وقوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يقول: أفلا يصدّقون بذلك، ويقرّون بألوهية من

فعل ذلك ويفردونه بالعبادة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: أصل كل الأحياء منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ثلاث تأويلات:

أحدها: أنه خلق كل شيء من الماء؛ قال قتادة.

الثاني: حفظ حياة كل شيء بالماء.

الثالث: وجعلنا من ماء الصلب كل شيء حي؛ قاله قطرب. ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى خلقنا.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا في الأرض جبالًا رواسي شامخات لتثبيت الأرض كي لا تضطرب بمن عليها وتميل بهم.

أما قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فمن العلماء.

قال: إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ عائدةٌ على الأرض أي وجعلنا في الأرض مسالك أعلامًا ممرات جعلنا طرقًا لعل البشر يسلكونها فيستدلون بها على ما يريدون الوصول إليه فالفجاج هي الطرق، وهي المسالك، وهي المعجزات وهي الأعلام التي يهتدى بها.

ومن العلماء من قال إن قوله: ﴿فِيهَا﴾ أي في الجبال أي بين الجبال توجد ممرات يتخذها الناس طرقًا للسير فيها للوصول إلى وادهم وبلا اهتداء على

مقاصدهم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة.

وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ يقول: أن لا تتكفأ بهم، يقول جلّ ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض، وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك، واحدها فجّ.

وأورد بإسنادس حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ أي أعلاما.

وقوله: ﴿سُبُلًا﴾ أي طرقا، وهي جمع السبيل.

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أي: جبالا أرسى الأرض بها وقرّرها وثقلها؛ لئلا تميد بالناس، أي: تضطرب وتتحرك، فلا يحصل لهم عليها قرار لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع، فإنه باد للهواء والشمس، ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرات، والحكم والدلالات؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: لئلا تميد بهم.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ أي: ثغرًا في الجبال، يسلكون فيها طرقًا من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم، كما هو المشاهد في الأرض، يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد، فيجعل الله فيه فجوة -ثغرة- ليسلك الناس فيها من هاهنا إلى هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾ أي جبالا ثوابت. ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ أي لئلا تميد بهم، ولا تتحرك ليتم القرار عليها؛ قاله الكوفيون. وقال البصريون: المعنى كراهية أن تميد. والميد التحرك والدوران. يقال: ماد رأسه؛ أي دار. ومضى في «النحل» مستوفى. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ يعني في الرواسي؛ عن ابن عباس. والفجاج ا لمسالك. والفج الطريق الواسع بين الجبلين. وقيل: وجعلنا في الأرض فجاجا أي مسالك؛ وهو اختيار الطبري؛ لقوله: ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي يهتدون إلى السير في الأرض. ﴿سُبُلًا ﴾ تفسير الفجاج؛ لأن الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقد لا يكون. وقيل: ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وجعلنا السماء سقف للأرض محنوطًا من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات: ٦-٧].

وقيل: محفوظًا من السقوط على الأرض كما قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ

أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥] وكما قال ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ ﴾ [فاطر: ٤١] أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أي وأهل الكفر عن الآيات الدالة على وحدانية الله في السماء من شمس وقمر ونجوم وأفلاك، وجريان الشمس والقمر والنجوم وكذا ما يأتي من رياح وعواصف وغير ذلك أهل الكفر عن كل هذا معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستدلون به على وحدانية الله وقدرته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ للأرض مسموكًا، قوله ﴿مَّحْفُوظًاۖ﴾ يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم.

وقوله: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء. ويعني بآياتها: شمسها وقمرها ونجومها. ﴿مُعْرِضُونَ ﴾ يقول: يعرضون عن التفكر فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلالتها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسوّاها، ولا تصلح إلا له.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا ﴾ أي: على الأرض وهي كالقبة عليها، كما قال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ ﴾ [الشمس:٥]، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ [ق:٦]، والبناء هو نصب القبة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بُنِي الإسلام على خمس**» أي: خمس دعائم، وهذا لا يكون إلا في الخيام، على ما تعهده العرب.

﴿ مَّحْفُوظًاۖ ﴾ أي: عاليًا محروسًا أن يُنال. وقال مجاهد: مرفوعا.

وقوله: ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢ ﴾، كقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥ ﴾ [يوسف:١٠٥] أي: لا يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم، والارتفاع الباهر، وما زينت به من الكواكب الثوابت والسيارات في ليلها، وفي نهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله، في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم قدرها إلا الذي قدرها وسخرها وسيرها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ ﴾ أي محفوظا من أن يقع ويسقط على الأرض؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥]. وقيل: محفوظا بالنجوم من الشياطين؛ قاله الفراء. دليله قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ ﴾ [الحجر: ١٧]. وقيل: محفوظا من الهدم والنقض، وعن أن يبلغه أحد بحيلة. وقيل: محفوظا فلا يحتاج إلى عماد. وقال مجاهد: مرفوعا. وقيل: محفوظا من الشرك والمعاصي. ﴿وَهُمْ ﴾ يعني الكفار ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢ ﴾ قال مجاهد يعني الشمس والقمر. وأضاف الآيات إلى السماء لأنها مجعولة فيها، وقد أضاف الآيات إلى نفسه في مواضع، لأنه الفاعل لها. بين أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالى، إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا فيستحيل أن يكون له شريك.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ۝٣٣ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم والله الذي خلق الليل والنهار خلق الليل كي نسكن فيه ونستريح، وجعل النهار للمعاش، وهي يتعاقبان وكم قال تعالى: ﴿يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكذا خلق الله الشمس والقمر يتعاقبان ويجريان بحساب، كما قال تعالى ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥] وهذه الأشياء تدور في مدارات أعدها الله لها فتسبح فيها وتدور فيها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ۝٣٣ ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة، ودلالة عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كلّ ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا، ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ۝٣٣﴾ يقول: كلّ ذلك في فلك يسبحون.

واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية، فقال بعضهم: هو كهيئة حديدة الرحى.

وقال آخرون: بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جري الشمس والقمر والنجوم وغيرها.

وقال آخرون: الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه.

وقال آخرون: بل هو القطب الذي تدور به النجوم، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز:

باتَتْ تُناجِي الفَلَكَ الدَّوَّارَا   حتى الصَّباحِ تعمَلُ الأقْتارَا

وقال آخرون: في ذلك، ما حدثنا به بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾: أي في فلك السماء.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر، وقرأ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ وقال: تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال: فيما بين السماء والأرض: النجوم والشمس والقمر.

وذُكر عن الحسن أنه كان يقول: الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذُكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

باتَّتْ تُناجِي الفُلْكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به.

فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثـم قـال منبهًـا علـى بعـض آياتـه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ أي: هـذا في ظلامه وسكونه، وهذا بضيائه وأنسه، يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى، وعكسه الآخر. ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ هذه لها نور يخصها، وفلك بذاته، وزمان على حدة، وحركة وسير خاص، وهذا بنور خاص آخر، وفلك آخر، وسير آخر، وتقدير آخر، ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠ ﴾ [يس: ٤٠]، أي: يدورون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ذكرهم نعمة أخرى: جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرفوا فيه لمعايشهم ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ﴾ أي وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل؛ لتعلم الشهور والسنون والحساب، كما تقدم في «سبحان» بيانه. ﴿ كُلٌّ ﴾ يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار ﴿ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ أي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ ﴾ [النازعات: ٣] ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح.

❁ ❁ ❁

س: وضـح معنـى قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٣٥ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما قدرنا لبشر جاءوا قبلك أن يخلدوا في هذه الحياة الدنيا بل كلهم يموتون، أفأن مت يا رسول الله سيخلد هؤلاء العائدون لك كلا فلن تخلَّد في الدنيا ولن يخلدوا بل كل نفس ذائقة الموت، ونختبركم بالشر اختبارًا ونبولكم به ابتلاء، وكذا نختبركم بالخير فتنة لكم، وإلينا جميعًا وجعلكم رقابكم فنجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكأنه قال: أفهم الخالدون إن متّ.

وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرّعة كأسها.

وقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة قوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول: نبلوكم بالشر بلاء والخير فتنة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: يا محمد، ﴿ٱلْخُلْدَ﴾ أي: في الدنيا بل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن:٢٦، ٢٧].

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مات وليس بحي إلى الآن؛ لأنه بشر، سواء كان وليًا أو نبيًا أو رسولا وقد قال

تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾.

وقوله: ﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ ﴾ أي: يا محمد، ﴿ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾؟! أي: يؤملون أن يعيشوا بعدك، لا يكون هذا، بل كل إلى فناء؛ ولهذا قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، وقد روي عن الشافعي، رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلْكَ سَبيل لَسْت فيهَا بأوْحد

فقلْ للّذي يَبْغي خلاف الذي مضى تَهَيَّأ لأخْرى مثلها فكَأن قد

وقوله: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾، يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال..

وقوله: ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أي: فنجازيكم بأعمالكم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ أي دوام البقاء في الدنيا نزلت حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون. وذلك أن المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون: شاعر نتربص به ريب المنون، ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان؛ فقال الله تعالى: قد مات الأنبياء من قبلك، وتولى الله دينه بالنصر والحياطة، فهكذا نحفظ دينك وشرعك. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ أي أفهم؛ مثل قول الشاعر:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع   فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

أي أهم فهو استفهام إنكار. وقال الفراء: جاء بالفاء ليدل على الشرط؛ لأنه جواب قولهم سيموت. ويجوز أن يكون جيء بها؛ لأن التقدير فيها: أفهم الخالدون إن مت! قال الفراء: ويجوز حذف الفاء وإضمارها؛ لأن "هم" لا يتبين فيها الإعراب. أي إن مت فهم يموتون أيضا، فلا شماتة في الإماتة. وقرئ ﴿مِتَّ﴾ و ﴿مُتَّ﴾ بكسر الميم وضمها لغتان.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ تقدم. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ ﴿فِتْنَةًۖ﴾ مصدر على غير اللفظ. أي نختبركم بالشدة والرخاء والحلال والحرام، فننظر كيف شكركم وصبركم. ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي للجزاء بالأعمال.

❁ ❁ ❁

بعض الأدلة على الابتلاء بالخير

س: اذكر بعض الأدلة على فتنة الناس واختبارهم بالخير؟

ج: من ذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾ [التغابن: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ [الأعراف: ٩٤-٩٥].

وقوله تعالى في شأن سليمان عليه السلام لما أُتي بعرش ملكة سبأ قبل أن يرتد إليه طرفه ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [النمل: ٤٠].

وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١).

وحديث أبي هريرة في الصحيحين: في شأن الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل، فيه أن الله عز وجل ابتلاهم، فيبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي

---

(١) البخاري (٣٤٦٤).

بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ ﷻ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي (١) النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ (٢) فَذَهَبَ عَنْهُ (٣) فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ، قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ (٤)، فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ (٥) هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٢): (قوله: «قذرني» - بفتح القاف، والذال المعجمة المكسورة - أي: اشمأزوا من رؤيتي. وفي رواية حكاها الكرماني «قذروني الناس». وهي على لُغة «أكلوني البراغيث»).

(٢) (مسحه): أي: مسح جسمه.

(٣) أي: ذهب عنه البرصُ.

(٤) قال النووي: (الناقة العشراء هي الحامل: القريبة الولادة)، وقال الحافظ في «الفتح»: (هي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرةُ أشهر من يوم طرقها الفحل، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعدما تضع، وهي من أنفس المال.

(٥) «أنتج هذان» أي: صاحب الإبل والبقر. قال النووي: («فأنتج» رباعي، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور: نتج» ثلاثي، وممَّن حكى اللغتين الأخفش، ومعناه: تولَّى الولادة، وهي: النتج والإنتاج، ومعنى «ولد هذا» بتشديد اللام: معنى «أنتج»، و«الناتج» للإبل، و«المولد» للغنم وغيرها، هو كـ«القابلة» للنساء).

وقال ابن حجر: («وأنتج» في مثل هذا شاذ، والمشهور في اللغة: «نتجت الناقة» بضم النون، و«نتج

بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ (١) فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ (٢) فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ، فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ (٣)، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ (٤) فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه (٥): أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ يَوْمًا

الرجل الناقة» أي: حمل عليها الفحل، وقد سُمع «انتجت الفرس» إذا ولدت، فهي «نتوج»).

(١) أي: الأسباب التي تُقطع في طلب الرزق.

(٢) أي: أتوصَّل به إلى مُرادي.

(٣) قال النووي: أي: ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه آبائهم كبيرًا عن كبيرٍ في العزِّ والشَّرف والثَّروة.

(٤) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٨٢٠): (قوله: «فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ » هكذا هو في رواية الجمهور: «أجهدك» - بالجيم والهاء- وفي رواية ابن ماهان «أحمدك» - بالحاء والميم-، ووقع في البخاري بالوجهين، لكن الأشهر في مسلم بالجيم وفي البخاري بالحاء، ومعنى الجيم: لا أشق عليك بردِّ شيء تأخذه أو تطلبه من مالي، والجهد: المشقة.

(٥) مسلم (٢٢٩٦).

فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ إِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وعند البخاري (١) **من طريق سعد بن إبراهيم عن أبيه:** إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ.

وعند مسلم (٢): من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ: كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾.

ج: المعنى والله أعلم وإذا رآك يا رسول الله أهل الكفر والتكذيب اتخذوك

(١) البخاري (٤٠٤٥).
(٢) مسلم (٢٩٦٢).

مجالًا للسخرية والاستهزاء لم يأخذوا منك خيرك ولم يستفيدوا منك علمك ولم يقبلوا ما جئت به من الهدى والنور بل نصبهم منك أن يسخرو منك ويستهزءوا بك قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها ويأوكم بمفارقة عبادتها؟؟!!

وليس أمرهم بقاصرٍ عليك وعلى الاستهزاء بك بل هم كافرون بالله ﷻ وكافرون بالذِّكر الذي جئتهم به من عند الله، وكافرون أيضًا باسم الرحمن وجاحدون لنعمه عليهم.

فغذا كانوا مجدوا نعم الله عليهم، أليس من اليسير عليهم أن يستهزءوا بك!!!

ففي هذا الأخير ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ تصبيرٌ للنبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ بتكرير كلمة ﴿هُمۡ﴾ للتأكيد على كفرهم وجحودهم والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالله، ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخريا يقول بعضهم لبعض ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يعني بقوله: يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها، تعجبا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، وبيده ضرّهم، وإليه مرجعهم بما هو أهله منهم؛ أن يذكروه به ﴿كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ والعرب تضع الذكر موضع

المدح والذمّ، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانـا، وهـم يريـدون سـمعناه يـذكره بقبيح ويعيبه؛ ومن ذلك قول عنترة:

لا تَـذْكُري مُهْـري ومَـا أطْعَمْتُـهُ فيكُـونَ جِلْـدُكِ مِثْـلَ جِلْـدِ الأجْـرَبِ

يعني بذلك: لا تعيبي مهري. وسمعناه يُذكر بخير.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: يستهزئون بك وينتقصونك، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يعنون: أهذا الذي يسب آلهتكم ويسفه أحلامكم، قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾ أي: وهم كافرون بالله، ومع هذا يستهزئون برسول الله، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ [الفرقان: ٤١، ٤٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي ما يتخذونك. والهزاء السخرية؛ وقد تقدم وهم المستهزئون المتقدمو الذكر في آخر سورة «الحجر» في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥]. كانوا يعيبون من جاحد إلهية أصنامهم وهم جاحدون لإلهية الرحمن؛ وهذا غاية الجهل. ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى﴾ أي يقولون: أهذا الذي؟ فأضمر القول وهو جواب «إذا» وقوله: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلام معترض بين «إذا» وجوابه. ﴿يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي بالسوء والعيب. ومنه قول عنترة:

لا تذكري مهري وما أطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

أي لا تعيبي مهري. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي بالقرآن. ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثانية توكيد كفرهم، أي هم الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ ﴾.

ج: هذا والله تعالى أعلم يتضمن ردًا على المستعجلين نزول العذاب عليهم المنكرين لذلك القائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، المكذبين بوعد الله ووعيده، فيقال لهم إذا كنتم تستعجلون نزول العذاب عليكم فهذا طبع الإنسان الذي طُبع عليه وجبلته التي جُبل عليها أنه مخلوق من عجل، مخلوق وطبيعة التي طبعه الله عليها العجل كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾ [الإسراء: ١١]، كما قال تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ﴾ [الروم: ٥٤] أي: خلقكم أول ما خرجتم من بطون أمهاتكم ضعفاء وهنا خلقكم عجولين.

وقيل إن معنى ﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ أي في وقت قليل في أخر ساعة من يوم الجمعة كذا قيل: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾ أي لا تتعجلوا نزول العذاب عليكم يا أهل الكفر ولا تستعجلوا نقمي، ولا تنكروها فإنها آتية لا محالة ولا مرد لها منكم ما دمتم على كفركم وعلى تكذيبكم، كما قال تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢﴾ [المعارج: ١-٢].

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ يعني آدم ﴿مِنۡ عَجَلٖۚ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: من عجل في بنيته وخلقته، كان من العجلة، وعلى العجلة.

وقال آخرون: معناه: خلق الإنسان من عجل: أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل، وقالوا: خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة

قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قال: على عجل آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين، يريد يوم الجمعة، وخلقه على عجل، وجعله عجولا.

قال الطبري:

والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عمن قال معناه: خُلق الإنسان من عجل في خلقه: أيْ على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلقه مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح.

وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ على ذلك.

وأن أبا كريب، حدثنا قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةٌ يَقَلِّلُها ، قال لا يُوَافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسألُ اللهَ فِيها خَيْرًا إلا أتاهُ اللهُ إيَّاهُ**» فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أيّ ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون آياتي، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل، إذا أتتها الآيات فلا تستعجلون، يقول:

فلا تستعجلوا ربكم، فإنا سنأتيكم بها ونريكموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١]، أي: في الأمور.

وهي التي خلق الله فيها آدم، قال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾.

والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال الله تعالى: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ أي: نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم ويقول أهل الكفر والتكذيب وأهل الجحود والنكران، يقولون لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان ساخرين مستهزئين مكذبين مستبعدين متى هذا الوعد الذي تعدونا أننا سنعذب فيه وسنبعث فيه إن كنتم صادقين في قبلكم فأتونا به!!.

فأجابهم الله بقوله: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ حقيقة هذا اليومن وما يحدث فيه لتابوا وأنابوا وآمنوا وأسلموا لو يعلم الذين كفروا أن هذا اليوم الذي يأتيهم فيه

العذاب لا يستطيعوا دفع النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم وليس هناك ناصرٌ فيعدهم ولا مدافعٌ يدفع عنهم لو علموا هذا ما قالوا هذه المقولة التي يقولونها.

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ فكقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤] فحاصل المعنى والتقريب المعنى؟! أقول بالله التوفيق إن الإنسان في الدنيا إذا قائله شخص وحاول ضربه فإن يدافع عن وجهه أولًا فيجتهد ألا يصاب وجهه بأي أذى، فكيف إذا كانت يداه موثوقتان ووجهه معرض للضرب لا يستطيع أن يدفع عن وجهه الضرب؟؟!! فعياذا بالله الكفار يكون هكذا يوم القيامة، النار فُسلَّطه على وجهه ولا يستطيع منعها فيستقبل النار بوجهه عياذًا بالله فنارٌ على وجهه ونار على ظهره، وعذاب على وجهه وعذاب على ظهره، كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] وكما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

أما قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾ أي: تأتيهم الساعة فجأة فتحيرهم فلا يستطيعون لها ردًا ولا يستطيعون لها دفعًا ولا يستطيعون جدالًا آنذاك، ولا يؤخرون لحظة.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد ﷺ: متى هذا الوعد: يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما

تعدوننا به من ذلك. وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ وللمؤمنين به، و متى في موضع نصب، لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأيّ يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ يقول: فلا يطيقون حين تبغتهم فتبهتهم دفعها عن أنفسهم ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يقول: ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها، وإنابة ينيبون، لأنها ليست حين

عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضًا بوقوع العذاب بهم، تكذيبًا وجحودًا وكفرًا وعنادًا واستبعادًا، فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال الله تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: لو تيقنوا أنها واقعة بهم لا محالة لما استعجلوا، به ولو يعلمون حين يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر:١٦]، ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف:٤١]، وقال في هذه الآية: ﴿ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ ﴾ وقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فالعذاب محيط بهم من جميع جهاتهم، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: لا ناصر لهم كما قال: ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الرعد:٣٤].

وقوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ أي: «تأتيهم النار بغتة»، أي: فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي: تذعرهم فيستسلمون لها حائرين، لا يدرون ما يصنعون، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: ليس لهم حيلة في ذلك، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي: ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ أي الموعود، كما يقال: الله رجاؤنا أي مرجونا. وقيل: معنى «الوعد» هنا الوعيد، أي الذي يعدنا من العذاب. وقيل: القيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يا معشر المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وجواب «لو» محذوف، أي لو علموا الوقت الذي ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ وعرفوه لما استعجلوا الوعيد. وقال الزجاج: أي لعلموا صدق الوعد. وقيل: المعنى لو علموه لما أقاموا على الكفر ولآمنوا. وقال الكسائي: هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة، أي لو علموه علم يقين لعلموا أن الساعة آتية. ودل عليه ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً ﴾ أي فجأة يعني القيامة. وقيل: العقوبة. وقيل: النار فلا يتمكنون حيلة ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ قال الجوهري: بهته بهتا أخذه بغتة، قال الله تعالى: ﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ ﴾ وقال الفراء: ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ ﴾ أي تحيرهم، يقال: بهته يبهته إذا واجهه بشيء يحيره. وقيل: فتفجأهم. ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ أي صرفها عن ظهورهم. ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ أي لا يمهلون ويؤخرون لتوبة واعتذار.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم،وإن كان القوم الكافرون الجاحدون استهزءوا بك يا رسول الله فقد استهزأ أمثالهم بالرسل من قبلك فلك فيمن كانوا قبلك من المرسلين أسوة فتأسى بهم واقتدِ بهم واصبر كما صبروا، فإن الساخرين المستهزئين قد حلَّ بهم نكالٌ من الله ﷻ وعذابٌ منه ونزل بهم جزاء استهزائهم وجزاء تكذيبهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله، واجتراء عليه، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزئون: يقول جلّ ثناؤه: حلّ بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوّفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جلّ ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مسليًا لرسوله عما آذاه به المشركون من الاستهزاء والتكذيب: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ يعني: من العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام:٣٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية له. يقول: إن استهزأ بك هؤلاء، فقد استهزئ برسل من قبلك، فاصبر كما صبروا. ثم وعده النصر فقال: ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط ودار ﴿بِٱلَّذِينَ﴾ كفروا ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُم﴾ وهزئوا بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي جزاء استهزائهم.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم
مُّعۡرِضُونَ ٤٢ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ
أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ٤٣ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ
ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ٤٥ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا
كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ
شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ
٤٧ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ
مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٠ ﴾

[الأنبياء: ٤٢-٥٠].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَكۡلَؤُكُم - ذِكۡرِ رَبِّهِم - ءَالِهَةٌ - يُصۡحَبُونَ - طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ - نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ - أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ - يُنذَرُونَ - نَفۡحَةٌ - ٱلۡقِسۡطَ - تُظۡلَمُ - ٱلۡفُرۡقَانَ - وَضِيَآءً - وَذِكۡرًا - يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ - مُشۡفِقُونَ - مُبَارَكٌ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَكۡلَؤُكُم﴾	يحرسكم - يحفظكم
﴿ذِكۡرِ رَبِّهِم﴾	تذكير ربهم لهم بما أنزله في كتاب ذكر الله بتوحيده- القرآن
﴿ءَالِهَةٌ﴾	معبودات
﴿يُصۡحَبُونَ﴾	يُمنعون- يجارون- نصبحهم بخير
﴿طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ﴾	طالت أعمارهم في الغي والضلال والنعيم الدنيوي
﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾	نهلكها قرية بعد قرية، وهي القرى التي يرونها مُدمرة خاوية على عروشها- وقيل يُسلم أهل القرى قرية بعد قرية فيضيق الخناق على أهل الشرك فينقلون يومًا بعد يوم
﴿أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾	أخوفكم
﴿يُنذَرُونَ﴾	بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ
﴿نَفۡحَةٌ﴾	يخوفون- يُحذَّرون- شيء يسيرٌ

﴿ٱلۡقِسۡطَ﴾	الحق – العدل
﴿تُظۡلَمُ﴾	تُبخس شيئًا من حقها
﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾	ما يـوَّق بـه بـين الحـق والباطـل (قيـل العصـا وقيـل التوراة)
﴿وَضِيَآءً﴾	نورًا
﴿وَذِكۡرًا﴾	تذكيرًا
﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾	يخافون ربهم ﷻ
﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾	وهم لا يرون الله – وفي حال غيابهم عـن النـاس – في حال عدم رؤيتهم لله
﴿مُّشۡفِقُونَ﴾	خائفون
﴿مُّبَارَكٌ﴾	كثيرٌ خبرة– متزايدُ خيره ثابتُ خيره

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المنكرين للبعث المستعجلين وقوع العذاب قل لهم من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار إذا أراد بكم الرحمة سوءًا، وهذه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾ فإذا سألت هؤلاء المشركين هذا السؤال، فلا يجدون له جوابصا، فإنهم يقرون أن الله هو الذي يكلؤهم (يحرسهم ويحفظهم بالليل والنهار) لن يجدوا جوابًا، ومع ذلك فهو عن ذكر من الذي أنزل على رسوله وهو القرآن بما فيه من تذكير معرضون وكذا فإنهم عن ذكر الله بتوحيده وإفراده بالعبادة.

أما قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ﴾ فمعناه ألهم آلهة تمنعهم منا إذا أردنا بهم سوءًا أو أردنا بهم رحمة كلا فليس لهم من يعصمهم منا ولا من يمنعهم مما أردناه بهم فهذه الألهة التي عبدوها مع الله ﷻ لا تستطيع نصر أنفسها ولا منع أنفسها ممن أرادها بأي شيء، وقد كسرها الخليل إبراهيم عليه السلام، ولم تدفع عن نفسها شيئًا فكيف تنصر غيرها، وكيف تحفظ غيرها.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ فالمعنى أن أهل الشرك لا يمنعهم مانع فما أردناهم به وكذا لا يجدون منا صحبة خير ولا يصحبون منا بخير

وكذا قال بعض العلماء:

وقال آخرون: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي ولا هم يُجارون منا ولا

يمنعون منا.

ثم يقول تعالى ما حاصل معناه فإن سأل سائل فما بال العذاب تأخر عن هؤلاء فجوابه أننا متعنا هؤلاء وأمهلناهم كما متعنا آباءهم وأمهلناهم حتى طال عليهم العمر في النعيم الدنيوي، ثم أننا نأخذهم كما أخذنا آباءهم وأسلافهم.

أفلا ينظر هؤلاء إلى سنن الله ف يالخق وأنه يوم المكذبين شيئًا فشيئًا، ويهلكم قومًا بعد قوم وقيل نقصها من أطرافها أي يُسلم الناس- وكان هذا في زمن رسول الله ﷺ ويدخلون في دين الله أفواجًا فيضيق الخناق على أهل الشرك بمكة ويقل أتباعهم ومن على شاكلتهم من أهل الكفر كذا قال بعض أهل العلم وهناك أقوال أُخر والأول عليه أكثر العلماء.

أما قوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فحاصل معناه إن كنا قد أهلكنا القرى التي يعلمها الله، وديارهم وآثارهم باقية تشهد لما أحللناه بهم، وكافر أأشد منهما أهل مكة قوة وأكثر جمعًا، أفيغلبنا هؤلاء المشركون من قريش؟!! كلا بل نحن الغالبون.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد بهؤلاء المستعجليك بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم، وبالنهار إذا تصرّفتم من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حلّ بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن اجتزاء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن، يقال منه: كلأت القوم: إذا حرستهم، أكلؤهم، كما قال ابن هَرْمة:

إنَّ سُليْمَى واللهُ يَكْلَؤُها ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يَرْزَؤُها

قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وقوله بل: تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا.

ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالئ لهم من أمر الله إذا هو حلّ بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتجّ بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الهؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ اختلف أهل التأويل في المعني بذلك، وفي معنى يُصْحبون، فقال بعضهم: عني بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني الآلهة ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يقول: لا يصحبون من الله بخير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا هم منا ينصرون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن ﴿هُمْ﴾ من قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾ من ذكر الكفار، وأن قوله: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكنا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر، وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتناهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن ننزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد،

بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمدا بالعذاب الغالبونا، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالبون، وإنما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم، يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه، وقد قهر من ناوأه من أهل الأطراف الأرض غيرهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ذكر تعالى نعمته على عبيده في حفظه لهم بالليل والنهار، وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام، فقال: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾؟ أي: بدل الرحمن بمعني غيره كما قال الشاعر

جَارِيــةٌ لَــمْ تَلْــبَسِ المُرَقَّقــا وَلَــمْ تَـذق مِـنَ البُقـول الفُسْـتُقا

أي: لم تذق بدل البقول الفستق.

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: لا يعترفون بنعمه عليهم وإحسانه إليهم، بل يعرضون عن آياته وآلائه، ثم قال ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ، أي: ألهم آلهة تمنعهم وتكلؤهم غيرنا؟ ليس الأمر كما توهموا ولا كما زعموا؛ ولهذا قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾ أي: هذه [الآلهة] التي استندوا إليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم.

وقوله: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ أي: يجارون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يمنعون.

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين: إنما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال، أنهم مُتّعوا في الحياة الدنيا، ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه، فاعتقدوا أنهم على شيء.

ثم قال واعظًا لهم: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ اختلف المفسرون في معناه، وقد أسلفناه في سورة «الرعد»، وأحسن ما فسر بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٧].

وقال الحسن البصري: يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر.

والمعنى: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه، وإهلاكه الأمم المكذبة والقرى الظالمة، وإنجائه لعباده المؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ يعني: بل هم المغلوبون الأسفلون الأخسرون الأرذلون.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ أي يحرسكم ويحفظكم. والكلاءة الحراسة والحفظ؛ كلاه الله كلاء "بالكسر" أي حفظه وحرسه. يقال: اذهب في كلاءة الله؛ واكتلأت منهم أي احترست، قال الشاعر هو ابن هرمة:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقال آخر:

أنخت بعيري واكتلأت بعينه

ثم قال أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة. أي بسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾ في النعمة. فظنوا أنها لا

تزول عنهم، فاغتروا وأعرضوا عن تدبر حجج ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أي بالظهور عليها لك يا محمد أرضا بعد أرض، وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة؛ قال معناه الحسن وغيره. وقيل: بالقتل والسبي؛ حكاه الكلبي. والمعنى واحد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى الآيات: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين المستعجلين نزول العذاب عليهم، قل لهم إنما أحذركم وأخوفكم وأنذركم بالقرآن الذي أوحاه الله إليَّ، ولكن أهل الكفر الذي أصمهم الله عن الحق وأعمى أبصارهن لا يسمعون ما ندعوهم إليه ولا يفقهون ما نحذرهم منه ولا يسمعونه النذير سرعًا ينتفعون به، ولئن أصابهم شيءٌ ولو اليسير جدًا من عذاب الله ﷻ لضجُّوا ودعوا على أنفسهم بالويل والهلاك والموت قائلين معترفين ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ كنا ظالمين لأنفسنا لعبادة غير الله ﷻ.

ثم يبين الله ﷻ شيئًا مما هو كائن يوم القيامة فيقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ التي توزن فيها أي العباد، بل ويوزن فيها العبادة أيضًا نقيم هذه الموازين بالعدل وهو القسط وذلك يوم القيامة فلا تبخس نفسٌ أي شيء عملته بل وإن كان المعمول من خيرا أو شر صغيرًا ضئيلًا ولو حبة من خردل أتينا بها ووضعناه في الموازين كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ⑧﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. أما قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ⑰﴾ أي لا نحتاج في لأحدٍ يحسب لنا ويزيد على العباد أعمالهم، فالله يحب أي والعباد أدن حساب وأعدل حساب وأتم حساب.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون إنم أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحيه إلى من عند وأخبركم به بأسه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي بهذا القرآن.

وقوله: ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ بفتح الياء من ﴿يَسْمَعُ﴾ بمعنى أنه فعل للصمّ، والصمّ حينئذ مرفوعون، ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يقرأ ﴿ولا تُسْمِعُ﴾ بالتاء وضمها، فالصمّ على هذه القراءة مرفوعة، لأن قوله: ﴿لا تُسْمِعُ﴾ لم يسمّ فاعله، ومعناه على هذه القراءة: ولا يسمع الله الصم الدعاء.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه، ومعنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تُلي عليه وأُريد به، ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكر فيه، فعل الأصمّ الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان.

وأورد بإسناد حسنٍ عن قتادة: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ٤٥﴾ يقول: إن الكافر قد صمّ عن كتاب الله لا يسمعه، ولا ينتفع به ولا يعقله، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النصيب والحظّ، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾... الآية، يقول: لئن أصابتهم عقوبة.

وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦﴾ يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم، ليعلمن حينئذ غبّ تكذيبهم بك، وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم وكفرانهم أياديه عندهم،وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ﴾ العدل وهو ﴿ٱلۡقِسۡطَ﴾ وجعل القسط

وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر.

وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى "في" كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته.

وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ يقول: وإن كان الذي له من عمل الحسنات، أو عليه منا لسيطات وزن حبة من خدل أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ قال: كتبناها وأحصيناها له وعليه.

وأيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ قال: يؤتى بها لك وعليك، ثم يعفوا إن شاء أو يأخذ، ويجزي بما عمل له من طاعة. وكان مجاهد يقول في ذلك ما.

وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء منا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي: إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذركم به من العذاب والنكال، ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إليّ، ولكن لا يجدي هذا

عمن أعمى الله بصيرته، وختم على سمعه وقلبه؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ أي: ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله، ليعترفن بذنوبهم، وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا.

وقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.

وقوله: ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠]، وقال لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان:١٦].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وأورد ما أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر، ثم يقول أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر، أو حسنة؟**» قال: فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا

حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فيخرج له بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله» فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: «**فتوضع السجلات في كفة** » ، قال: «**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة**» قال: «**ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**» .

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

ج: المعنى والله أعلم ولقد أتينا موسى وهارون عليهما السلام الفرقان، وهو ما يفرق به بين الحق والباطل، وقيل إن هذا الفرقان هو المعجزات التي أيد الله بها موسى وهارون عليهما السلام كالعصا واليد وغير ذلك، وقيل إن هذا الفرقان هو التوارة.

أما قوله تعالى: ﴿وَضِيَآءً﴾ فمن العلم ومن قال إن المراد به التوراة فهي ضياءٌ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

أما قوله تعالى: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي تذكيرًا للمتقين، وقيل للمتقين، مع أنه ذكرٌ للجميع، وذلك لكون المتقين هم المستفيدون به أما قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ أي: وهذا القرين الذي أنزلناه عليك يا رسول ذِكر مبارك كثير نفعه بل وكله نفعٌ، نفع أثناء وتعلمه وتعليمه وأثناء العمل به، وأثناء تدبره، والدعوة إليه بل في كل زمانٍ، وفي كل مكان.

أنزلناه عليك يا رسول الله لتبليغه هؤلاء القوم أفتنكرونه، وهو في غاية

الجلاء والظهور والوضوح.

وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ الفرقان: التوراة حلالها وحرامها، وما فرق الله به بين الحق والباطل.

وأورد بإسناد صحيح: ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ قال: الفرقان: الحق آتاه الله موسى وهارون، فرق بينهما وبين فرعون، قضى بينهم بالحق، وقرأ ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال: ٤١] قال: يوم بدر.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء، لأن الضياء الذي آتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصّرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء.

فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال: ﴿ بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا ﴾ [الصافات: ٦-٧]؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من

وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل.

وقوله: ﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكّرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة.

في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان: الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته، يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرّطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قِبَل لهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به ﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ﴾ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هو ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكرا للمتقين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيرًا ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد،

صلوات الله وسلامه عليهما، وبين كتابيهما؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾. قال مجاهد: يعني: الكتاب. وقال أبو صالح: التوراة، وقال قتادة: التوراة، حلالها وحرامها، وما فرق الله بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: يعني: النصر.

وجامع القول في ذلك: أن الكتب السماوية تشتمل على التفرقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورًا في القلوب، وهداية وخوفًا وإنابة وخشية؛ ولهذا قال: ﴿ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ أي: تذكيرًا لهم وعظة.

ثم وصفهم فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ كقوله: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق:٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢]، ﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي: خائفون وجلون.

ثم قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ يعني: القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ﴿ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ أي: أفتنكرونه وهو في غاية الجلاء والظهور؟.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولقد آتينا موسى وهرون النصر والتوراة التي هي الضياء والذكر. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي غائبين، لانهم لم يروا الله تعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا، يجازي على الاعمال فهم يخشونه في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس. ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي من قيامها قبل التوبة. ﴿مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ أي خائفون وجلون.

﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ ﴾ يعنـي القـرآن ﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يـا معشـر العـرب ﴿مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ وهو معجز لا تقدرون على الاتيان بمثله.

وأجاز الفراء ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ بمعنى أنزلناه مباركا.

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى
فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم
بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ
فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾

قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ
ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ
٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾

[الأنبياء: ٥١-٧٣].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿رُشْدَهُۥ - ٱلتَّمَاثِيلُ - عَٰكِفُونَ - ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ - ٱللَّٰعِبِينَ - فَطَرَهُنَّ - وَتَٱللَّهِ - لَأَكِيدَنَّ - تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ - جُذَٰذًا - أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ - يَشْهَدُونَ - ٱلتَّمَاثِيلُ - فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ - نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ - أُفٍّ لَّكُمْ - إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ - كَيْدًا - بَٰرَكْنَا فِيهَا - نَافِلَةً - أَئِمَّةً - يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿رُشْدَهُۥ﴾	عقله - فهمه - سدادًا وتوفيقًا
﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿عَٰكِفُونَ﴾	مقيمون حولها - ملازمون لها
﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	بعدُ عن الحق مظهرٌ لمن تأمله أنهم على باطل وضلال
﴿ٱللَّٰعِبِينَ﴾	المازحين
﴿فَطَرَهُنَّ﴾	خلقهن لأول مرة وعلى غير مثال سابقٍ
﴿وَتَٱللَّهِ﴾	وواللهِ
﴿لَأَكِيدَنَّ﴾	لأكرمن أصنامكم - لأفعلن بها مكيدة
﴿تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾	تنصرفوا بعيدين عنها
﴿جُذَٰذًا﴾	فُتاتًا - مقطعًا
﴿أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾	أمام الناس وعلى مرأى منهم

﴿يَشۡهَدُونَ﴾	يشهدون عليه أنه توعد
﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾	الأصنام
﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾	فرجع بعضهم على بعض بالملامة
﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾	ارتدوا ثانية باللوم على إبراهيم عليه السلام
﴿أُفّٖ لَّكُمۡ﴾	تقذرًا لكم وتقززًا من فعلكم
﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾	إن كنتم منتصرين لها- إن كنتم تريدون الاستمرار على عبادتها
﴿كَيۡدٗا﴾	هلاكًا- موتًا
﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾	أكثرنا الخيرات فيها- أرسلنا فيها رسلًا وأنبياء كثيرين- أكثرنا فيها من الثمار والبركات والخيرات
﴿نَافِلَةٗ﴾	زيادة على ما سأل
﴿أَئِمَّةٗ﴾	قادة وسادة في الخير
﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾	يهدون الناس بإذننا وبما أمرناهم به

❀ ❀ ❀

ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلى وأعلم ولقد أتينا إبراهيم عليه السلام هداه وعقله الرشيد وفهمه السديد، أي أتيناه فهمًا سديدًا وعقلًا رشيدًا، وهدى وتوفيقًا.

أما قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي وهو صغير ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ قيل عالمين أنه أهلًا لذلك وقيل كنا به عالمين أنه يتحرى الحق والصواب ويبحث عنه.

وكذا كنا به عالمين عند قوله لأبيه آزر ولقومه ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ ما هذه الأصنام والصور التي أنتم عندها مقيمون وحولها مقيمون تعبدونها لا تتركون عبادتها وأنتم لها ملازمون؟ قالوا وجدنا أباءنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كان أباؤنا ويعبدونها، فقال لهم الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي في بعدٍ عن الحق واضحٌ مظهرٌ لمن تأمله أنكم على غير صوابٍ وعلى غير الحق فتعجب قوم إبراهيم عليه السلام من مقولته تلك فقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أأنت جادٌ فيما تقول أم أنك هازل تمزح، فأكد، فأكّد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فأكد لهم أنه جاد ليس بمازح ولا هازل فقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ الذي خلقهن لأول مرة، وأنا على ما قلت من الشاهدين المُقرين لله عز وجل بالربوبية دون ما سواه والمقرين له بالألوهية دون ما سواه فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾ موسى وهارون، ووفّقناه للحقّ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى إبراهيم، فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقا منا له.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئا ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ ﴾ يعني في وقت قيله وحين قيله لهم ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ ﴾ يقول: قال لهم: أيّ شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿ لَقَدۡ كُنتُمۡ ﴾ أيها القوم ﴿ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ ﴾ بعبادتكم إياها ﴿ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٥٤ ﴾ يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحقّ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول ﴿ أَمۡ أَنتَ ﴾ هازل لاعب ﴿ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئتكم بالحق لا اللعب، ربكم ربّ السماوات والأرض الذي خلقهنّ، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو ربّ السماوات والأرض الذي فطرهنّ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كلّ أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تضرّ ولا تنفع.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن خليله إبراهيم، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه آتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ [الأنعام:٨٣]، وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في السرب، وهو رضيع، وأنه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم –فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئًا من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفًا، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك ما لا فائدة فيه، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين. ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة. والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم، فإنهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما

حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الأمة.

والمقصود هاهنا: أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى إبراهيم رشده، من قبل، أي: من قبل ذلك، وقوله: ﴿ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ أي: وكان أهلا لذلك.

ثم قال: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله، عز وجل، فقال: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ أي: معتكفون على عبادتها.

﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾: لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال؛ ولهذا قال: ﴿ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ أي: الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم، فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم.

فلما سفه أحلامهم، وضلل آباءهم، واحتقر آلهتهم ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ يقولون: هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعبًا أو محقًا فيه؟ فإنا لم نسمع به قبلك.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: ربكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي: وأنا أشهد أنه لا إله غيره، ولا رب سواه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ قال الفراء: أي أعطيناه هداه.

﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل النبوة، أي وفقناه للنظر والاستدلال، لما جن عليه

الليل فرأى النجم والشمس والقمر.

وقيل:«من قبل» أي من قبل موسى وهرون.

والرشد على هذا النبوة.

وعلى الاول أكثر أهل التفسير، كما قال ليحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢﴾ [مريم: ١٢].

وقال القرطي: رشده صلاحه.

﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ أي إنه أهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ قيل: المعنى أي اذكر حين قال لابيه، فيكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾.

وقيل: المعنى، ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذْ قَالَ﴾ فيكون الكلام متصلا ولا يوقف على قوله: «عالمين».

«لابيه» وهو آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ﴾ نمرود ومن اتبعه.

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ أي الاصنام.

والتمثال اسم موضوع للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى.

يقال: مثلت الشئ بالشئ أي شبهته به.

واسم ذلك الممثل تمثال.

﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ أي مقيمون على عبادتها.

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ أي نعبدها تقليدا لاسلافنا.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٥٤﴾ أي في خسران بعبادتها، إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي أجاء أنت بحق فيما تقول؟ ﴿أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾

أي لاعب مازح.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي لست بلاعب، بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والارض.

﴿ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ أي خلقهن وأبدعهن.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ أي على أنه رب السموات والأرض.

والشاهد يبين الحكم، ومنه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٨] بين الله، فالمعنى: وأنا أبين بالدليل ما أقول.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم قسم أقسمه إبراهيم عليه السلام وعهد أخذه على نفسه أن يكسر الأصنام بعد خروج القوم لعيدهم، وبعد انصرافهم عن آلهتهم، وقد قيل إن أقسم على ذلك أمام بعض قومه فسمعه بعضهم ولم يسمعه آخرون، ويحتمل أنه عقد عليه العزم في نفسه، والأول أظهر لقولهم: ﴿سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ فالحاصل أن إبراهيم عليه السلام أقسم بالله عز وجل أن يكيد هذه الأصنام بتكسيرها وتدميرها بعد انصراف القوم عنها. فلما انصرفوا عنها قام إليها وكسرها بقوةٍ وشدة كما قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الصافات: ٩٣] فكسرها وجعلها قطعًا متفتتة محطمةً، كسرها كلها إلا أكبر صنم فيها لعلَّ

القوم يرجعون.

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ فقيل إن المراد بذلك الصنم الأكبر تركه إبراهيم، وقيل إنه علَّق عليه الفأس الذي كسر به الأصنام لعلَّ القوم يرجعون إلى الصنم فيسألونه لماذا صنعت هذا بالأصنام الصغيرة التي دونك، فيكون ردَّه إني رفضت أن يعبد هؤلاء الصغار معي. وهذا كله على سبيل السخرية والتهكم من القوم أي فاسألوا هذا الصنم الكبير لماذا كسرها، فقد يكون كسرها لكونها تُعبد معه، وهو لا يريد أن يُعبد أحدٌ معه من هذه الأصنام، هذا قولٌ، فحاصله أنه جعل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أن يرجعون إلى الصنم الأكبر.

وقوله آخر ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ أي يرجعون إلى دينه وما هو عليه من الحق، وقيل يرجعون إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يسألونه ويناظرونه.

فقالوا لما رجعوا ووجدوا الأصنام مكسرة محطمةً مُدمرةً (إلا الصنم الأكبر) قالوا من فعل هذا بمعبوداتنا التي نعبدها إنه لشخص ظالم من الظالمين، فقال بعض الذين سمعوا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقسم على الكيد لها وتدميرها سمعنا فتى -شابًا- يُقال له إبراهيم فقال كبراء القوم وأهل الرياسة فيهم فأتوا به أمام الناس وعلى رأي منهم وأمام الشهود لعلهم يشهدون عليه وعلى جريمته التي ارتكبها في حقنا بتكسيره أصنامنا وازدراءه بمعبوداتنا فأُتي بالخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسألوه أأنت فعلت هذا بألهتنا يا إبراهيم؟ أأنت الذي كسرتها ودمرتها وأهنتها؟؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ هذا الصنم الأكبر هو الذي كسرها فسألوهم من الذي فعل ذلك بكم، واسألوا

الصنم الأكبر من الذي فعل هذا بمن حولك؟؟.

فسيجيبوا إن كانوا ينطقون، فأقام عليهم إبراهيم عليه السلام الحجة، وأوضح لهم أن هذه الأصنام لا تملك دفاعًا عن نفسها، فلم تمنع نفسها ممن أرادها بسوءٍ ومن كسرها، ثم هي جمادات لا تنطق ولا تتكلم ولا تجيب، فكيف تعبدُ هذه من دون الله عز وجل!

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سرّ من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا. من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم.

وأورد بإسناد حسن: عن قتادة، قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ قال: نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعوه بعد أن تولّوا مدبرين.

وأورد أقوالًا في تفسير ﴿جُذَاذًا﴾ منها حطاما ومنها قطعًا، ومنها كالصريم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن السديّ أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيدا لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفى الناس ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاما، فوضعوه بين أيدي

الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾ فلما لم تجبه، قال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩١-٩٣] فأخذ فأس حديد، فنقر كلّ صنم في حافتيه، ثم علَّق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

قلت: (مصطفى): ولعل هذا من الإسرائيليات. فالله أعلم.

ثم قال الطبري:

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يقول: إلا عظيما للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعد، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ قال كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

وقال الطبري:

في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذّت، إلا الذي ربط به الفأسَ إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ يقول: قال الذين سمعوه يقول ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم.

وقوله: ﴿ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس؛ فقيل: معنى ذلك: على رءوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلّ الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وأورد عن السدي بسندٍ حسن: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ عليه أنه فعل ذلك.

وبإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ قال: كرهوا أن يأخذوه بغير بينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاينوه ويرونه.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم أقسم الخليل قسمًا أسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم، أي: ليحرصن على أذاهم وتكسيرهم بعد أن يولوا مدبرين أي: إلى عيدهم. وكان لهم عيد يخرجون إليه.

ثم أورد طرفًا من أثر السدي المتقدم وقال وقال أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: لما خرج قوم إبراهيم، إلى عيدهم مروا عليه فقالوا: يا إبراهيم ألا تخرج معنا؟ قال: إني سقيم. وقد كان بالأمس قال: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ فسمعه ناس منهم.

وقوله: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا ﴾ أي: حطامًا كسرها كلها ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ ﴾ يعني: إلا الصنم الكبير عندهم كما قال: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾ [الصافات:٩٣].

وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ ذكروا أنه وضع القدوم في يد كبيرهم، لعلهم يعتقدون أنه هو الذي غَارَ لنفسه، وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فكسرها.

﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: حين رجعوا

وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الإهانة والإذلال الدال على عدم إلهيتها، وعلى سخافة عقول عابديها ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ أي: في صنيعه هذا.

﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: قال من سمعه يحلف أنه ليكيدنهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ أي: شابًا ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن قابوس [عن أبيه]، عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًا إلا شابًا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾.

وقوله: ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: على رءوس الأشهاد في الملإ الأكبر بحضرة الناس كلهم، وكان هذا هو المقصود الأكبر لإبراهيم أن يتبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلهم في عبادة هذه الأصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرًا، ولا تملك لها نصرًا، فكيف يطلب منها شيء من ذلك؟.

﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ يعني: الذي تركه لم يكسره ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم، فيعترفوا أنهم لا ينطقون، فإن هذا لا يصدر عن هذا الصنم، لأنه جماد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ أخبر أنه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر أصنامهم فعل واثق بالله تعالى، موطن نفسه على مقاساة المكروه في الذب عن الدين. والتاء في ﴿تَاللهِ﴾ تختص في القسم باسم الله

وحده، والواو تختص بكل مظهر، والباء بكل مضمر ومظهر. قال الشاعر:

تالله يبقي على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان والآس

وقال ابن عباس: أي وحرمة الله لأكيدن أصنامكم، أي لأمكرن بها. والكيد المكر. كاده يكيده كيدا ومكيدة، وكذلك المكايدة؛ وربما سمي الحرب كيدا؛ يقال: غزا فلان فلم يلق كيدا، وكل شيء تعالجه فأنت تكيده. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ أي منطلقين ذاهبين.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يجمع أهل الظلم الجموع فتكون هذه وبالًا عليهم وحجة عليهم بل وفضيحة لهم دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

أن فرعون لما اتفق مع موسى عليه السلام، وكذا اتفق السحرة مع موسى عليه السلام على وقت اللقاء يوم الزينه وأن يحشر الناس ضحى، تولى فرعون فجمع كيده ثم أتى. فكان في مجيئهم نصرةٌ لموسى عليه السلام.

وكذا لما أرسل فرعون في المدائن حاشرين وكان في هذا إهلاك لهم ودمارٌ وغرقٌ وكذا قوم إبراهيم عليه السلام قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، فاجتمعوا وخرج لهم إبراهيم عليه السلام، بعد أن كسر الأصنام، فأقام عليهم الحجة، وهم مجتمعون وكذا الغلام الوارد ذِكره في قصته أصحاب الأخدود وغير ذلك كثير.

❁ ❁ ❁

س: أحرف القسم ثلاثة، اذكرها بأدلتها.

ج: هي الواو والباء، والتاء

وأدلة ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٩].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

❁ ❁ ❁

س: اذكر الكذبات الثلاث التي كذبها إبراهيم عليه السلام.

ج: هي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] لما دعوه للخروج معهم ليوم عيدهم.

وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وقوله عن سارة لما دخل بلاد الجبابرة: هذه أختي.

وينحو ذلك جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثا».

حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز و جل. قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾. وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾. وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك»....الحديث.

❁ ❁ ❁

س: هل كل نبي يبعث عند الأربعين من عمره؟

ج: لم أقف على دليل بذلك، بل الأدلة تخالف ذلك، فليس بالضرورة أن يبعث كل نبي عند الأربعين، وإن كان هذا قد ورد في شأن رسولنا محمد ﷺ وأنه بعث عند الأربعين.

أما إبراهيم عليه السلام، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١] قيل في صغره.

ويوسف عليه السلام أوحي إليه وهو في غيابة الجب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [يوسف: ١٥].

ويحيى عليه السلام أتاه الله الحكم صبيًا.

وقيل: إن عيسى عليه السلام رفع قبل الأربعين، قيل عند الثلاث والثلاثين، ولم أقف على خبر عن رسول الله ﷺ بذلك.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فرجع أهل الكفر عبدة الأصنام والأوثان إلى أنفسهم إلى بعضهم البعض يُعاقب بعضهم بعضًا يقول بعضهم لبعض أنتم الذي ظلمتم آلهتكم بتركها دون حراسة وبدون رعاية حتى كسرها إبراهيم عليه السلام وقال آخرون من العلماء معنى ذلك: إنكم أنتم الظالمون

بعبادتكم الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن نفسها شيئًا فضلًا عن غنايتها عنكم.

وقال آخرون: إنكم أنتم الظالمون، كيف تسألون إبراهيم، بل اسألوا الآلهة التي كُسرت من كسرها واسألوا الكبير الصنم الأكبر من فعل ذلك والأظهر من هذه الأقوال قول من قال إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة الأصنام التي لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، وذلك للآية التي بعدها، ولو قوله ثم نكسوا على رؤوسهم أي ارتدوا إلى جهلهم وغبائهم وشركهم وقلة أفهامهم، وكذا إلى كفرهم وضلالهم قائلين لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قال لهم فاسألوهم إن كانوا ينطقون قالوا له لقد علمت يا إبراهيم أن هذه الألهة لا تستطيع النطق فكيف نسألها فبهذا أقاموا الحجة على أنفسهم، فإذا كانت الألهة لا تستطيع النطق ولا تدفع عن نفسها الضر، فكيف تعبدونها إذن؟؟ فحينئذٍ قال لهم الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحتجًا عليهم أفتعبدون من دون الله، أتعبدون مع الله آلهة أخرى لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم بشر ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقذرًا لكم، وتقذرًا للآلهة التي تبعدونها مع الله عَزَّ وَجَلَّ أفلا تعقلون ما ينفعكم ولا يضركم أليست عندكم عقول تعقلون بها؟

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم، وهذه آلهتكم

التي فعل بها ما فعل حاضرتكم فاسألوها.

وقوله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ثم غُلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال الله: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ ادركت الناس حيرة سوء.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم نُكسوا في الفتنة.

وبإسناد حسن عن السدي: ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ قال: نكسوا في الفتنة على رءوسهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في معنى ذلك، لأن نَكَس الشيء على رأسه: قلبه على رأسه وتصيير أعلاه أسفله؛ ومعلوم أن القوم لم يقلبوا على رءوس أنفسهم، وأنهم إنما نُكست حجتهم، فأقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم، وإذ كان ذلك كذلك، فنكْس الحجة لا شك إنما هو احتجاج المحتجّ على خصمه بما هو حجة لخصمه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من

عبادة ما كان هكذا.

وقوله: ﴿ أُفِّ لَّكُمْ ﴾ يقول: قُبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضرّ ولا ينفع، فتتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضرّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي: بالملامة في عدم احترازهم وحراستهم لآلهتهم، ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي: في ترككم لها مهملة لا حافظ عندها، ﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي: ثم أطرقوا في الأرض فقالوا: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال قتادة: أدركت القوم حيرة سوء فقالوا: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

وقال السدي: ﴿ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي: في الفتنة.

وقال ابن زيد: أي في الرأي.

وقول قتادة أظهر في المعنى؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزًا؛ ولهذا قالوا له: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾، فكيف تقول لنا: سلوهم إن كانوا ينطقون، وأنت تعلم أنها لا تنطق فعندها قال لهم إبراهيم لما اعترفوا بذلك: ﴿ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ ﴾ أي: إذا كانت لا تنطق، وهي لا تضر ولا تنفع، فلم تعبدونها من دون الله.

﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي: أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ، الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؟ فأقام عليهم الحجة، وألزمهم بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ

ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ ﴾ الآية [الأنعام: ٨٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجته، المتفطن لصحة حجه خصمه ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ أي بعبادة من لا ينطق بلفظة، ولا يملك لنفسه لحظة، وكيف ينفع عابديه ويدفع عنهم البأس، من لا يرد عن رأسه الفأس. ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي عادوا إلى جهلهم وعبادتهم فقالوا ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ فـ﴿ قَالَ ﴾ قاطعا لما به يهذون، ومفحما لهم فيما يتقولون ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ ﴾ أي النتن لكم ﴿وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾. وقيل: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي طأطأوا رؤوسهم خجلا من إبراهيم، وفيه نظر؛ لأنه لم يقل نكسوا رؤوسهم، بفتح الكاف بل قال: ﴿ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ ﴾ أي ردوا على ما كانوا عليه في أول الأمر وكذا قال ابن عباس، قال: أدركهم الشقاء فعادوا إلى كفرهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم قال قوم من أهل الكفر لساداتهم وكبراءهم أوقدوا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نارًا فألقوه فيها ﴿ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الصافات: ٩٧] وقيل قائل ذلك رجل من أعراب أهل فارس، وهم الأكراد، وهذا لا يثبت بسند إلى رسول الله ﷺ ولا يضر عدم معرفة قائل ذلك، إنما هو قائل من

الكفار أيًا كان، وقوله وانصروا آلهتكم معناه انتصروا لها إن كنتم ترونها آلهة حقًا وكنتم ستستمرون على عبادتها، فإن كنتم لها منتصرين فأوقدوا له نارًا فأوقدوا له نارًا فاقذفوه فيها فأوقدوا نارًا عظيمة فقذفوه فيها، وهو يقول حسبي الله ونعم والوكيل، فأمر الله ﷻ النار أن تكون بردًا، وليس بردًا شديدًا مُضرًّا مؤلما، بل تكون عليه بردًا وسلاما وأرادوا بإبراهيم عليه السلام الموت والهلاك فجعلناهم الأخسرين، المغلوبين.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرّقوا إبراهيم بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝٦٨﴾ يقول: إن كنتم ناصريها، ولم تريدوا ترك عبادتها.

وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس.

وقوله: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ في الكلام متروك اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا.

وأورد بإسناد حسن عن السديّ، قال: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ۝٩٧﴾ [الصافات: ٩٧] قال: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطبا، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم ﷺ رأسه إلى السماء، فقالت

السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقذفوه في النار، فناداها فقال: ﴿يَـٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾ فكان جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي ناداها.

وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدّة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، ظنت أنها هي تعنى، فلما طُفئت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظلّ، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**:**

وقوله: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيدًا ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ۝٧٠﴾ يعني الهالكين.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **لما ألقي في النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل.**

ج: أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين أُلقي في النار، وقالها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا لهم ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]».

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت أن جبريل أتى النبي ﷺ جاء إلى إبراهيم وسأله ألك حاجة، قال أما منك فلا، قال فمن الله قال علمه بحالي يغني عن سؤالي.

ج: لم أقف على سندٍ صحيح لهذا عن رسول الله ﷺ وأخرج الطبري شيئًا من ذلك بسندٍ ضعيف من طريق معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحاب قال جاء جبريل إلى إبراهيم عليه السلام وهو موثق أو يُقمط في النار قال يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا.

❁ ❁ ❁

س: لماذا اتبع قوله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾.

ج: ذلك، والله أعلم لأن البرد نفسه مؤذي فاتباع ذلك بقوله: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لدفع ما قد يتأتى من البرد من ضررٍ، وإلا فقد قال الله في أهل النار ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ٥٧﴾ [ص: ٥٧] والغساق البرد الشديد.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم، ونجينا إبراهيم عليه السلام من النار، ومن قومه الأشرار فهاجر إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وأكثر العلماء على أنها الشام، ومن العلماء من قال إنها القدس ومنهم من قال إنها مكة، ومنهم من قال إنها مصر إلا أن الأكثرين على أنها الشام، والمراد بالبركة فيها ما فيها من الثمار والمياهن فضلًا عن الأنبياء الكثيرين الذي كانوا بها عليهم صلوات الله

وسلامه.

أما قوله: ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، قيل للخلق، وذلك لأن الأنبياء مباركين على الخلق كلهم، وقيل للعالمين آنذاك وهم أهلها وسكانها آنذاك.

أما قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ أي ورزقناه بإسحاق عليه السلام ابنًا بعد طول سنين وطول دعاء كما قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء وكما قال وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين.

أما قوله ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ أي ومن بعد إسحاق يعقوب كحينئذٍ لإبراهيم عليه السلام إبنًا لإسحاق عليه السلام.

أما قوله ﴿نَافِلَةً﴾ فقيل في معناها عطية أعطيناها له.

وقيل ﴿نَافِلَةً﴾ زيادةً على ما طلبن فقد طلب عليه السلام ولدًا فرزقه الله ولدًا وحفيدًا طلب إبراهيم ولدًا إذ قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات: ١٠٠] فبشر بإسحاق، وليس بإسحاق فقط بل ومن وراء إسحاق يعقوب، أي كحفيد وهذا من كرم الله عز وجل.

وجعلنا هذا، وذاك صالحين، أي أن الله عز وجل جعل إسحاق صالحًا وكذا يعقوب عليه السلام جعله الله صالحًا، بل جعلهما نبيين كريمين كما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن يوسف عليه السلام وهو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال «عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم».

وفي رواية نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله ثم إن الله عز وجل تفضل على إبراهيم عليه السلام وعلى ذريته مع الصلاح بأن جعلهم أئمة قادةً وسادةً في الخير والدعوة إليه، فصلاحهم لم يقتصر على أنفسهم بل كانوا دعاه خير

﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يصدون الناس بأمر الله ﷻ وبالوحي الذي أوحى الله إليهم ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ﴾ عن طريق رسلنا (وهو جبريل عليه السلام) فعل الخيرات أن افعلوا الخيرات وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وعلموا الناس ذلك ومروهم بذلك، ففعلوا إذ الله ألهمهم ذلك ووفقهم إليه وكانوا عليهم صلوات الله وسلامه لله مطيعين خاضعين مستسلمين.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ وهي أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشأم.

وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد ﷺ من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدا على نهيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقى منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشأم، مسلٍّ بذلك نبيه محمدا ﷺ عما يلقى من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفرة قومه.

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولوطا إليها، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك.

وأورد بسندٍ قابل للتحسين عن أبيّ بن كعب: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي

بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ قال: الشأم، وما من ماء عذب إلا خرج من تلك الصخرة التي ببيت المقدس.

وبسند حسن عن قتادة، قوله: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشأم، وكان يقال للشأم عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشأم، وما نقص من الشأم زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال.

وأورد أسانيد كثيرة في بيان أن الأرض التي بارك الله فيها للعالمين هي الشام وبيت المقدس.

وقال آخرون: بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين.

ويقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك.

واختلف أهل التأويل في المعني بقوله: ﴿نَافِلَةً﴾ فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ والنافلة ابن ابنه يعقوب.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال: سأل واحدا فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠] فأعطاه واحدا، وزاده يعقوب، ويعقوب ولد ولده.

وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن عطاء في قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ قال عطية.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيّ شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة.

وقوله: ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: ﴿وَكُلًّا﴾ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدي بهم، ويُتَّبَعون عليه.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾

جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي: الجميع أهل خير وصلاح، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: يقتدي بهم، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون إلى الله بإذنه؛ ولهذا قال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ أي: فاعلين لما يأمرون الناس به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلى أرض الشام وكانا بالعراق. وكان "إبراهيم" عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عمه؛ قال ابن عباس. وقيل: لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها؛ ولأنها معادن الأنبياء. والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح. وقال ابن عباس: الأرض المباركة مكة. وقيل: بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضا كثيرة الخصب والنمو، عذبة الماء، ومنها يتفرق في الأرض. قال أبو العالية: ليس ماء عذب إلا يهبط من السماء إلى الصخرة التي ببيت المقدس، ثم يتفرق في الأرض. ونحوه عن كعب الأحبار. وقيل: الأرض المباركة مصر.

قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ أي زيادة؛ لأنه دعا في إسحاق وزيد في يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة؛ أي زيادة على ما سأل؛ إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد. ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي وكلا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله. وجعلهم صالحين إنما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم، وبخلق القدرة على الطاعة، ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي رؤساء يقتدى بهم في الخيرات وأعمال الطاعات. ومعنى ﴿بِأَمْرِنَا ﴾ أي بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي؛ فكأنه قال يهدون بكتابنا وقيل: المعنى يهدون الناس إلى ديننا بأمرنا إياهم بإرشاد الخلق، ودعائهم إلى التوحيد. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ أي أن يفعلوا الطاعات. ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ أي مطيعين.

❁ ❁ ❁

س: الله ﷻ كريم يعطي العبد أكثر مما سأل دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾. فإبراهيم عليه السلام طلب ولدًا صالحًا إذ قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٠]. فبشر بغلام حليم وبشر بيعقوب أيضًا فضلًا زيادةً عما طلب.

وقوله تعالى على أحد وجوه التفسير - ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦] أي يجيب الله أهل الإيمان ويزيدهم من فضله يعطيهم أكثر مما سألوه وطلبوا.

وأم موسى عليه السلام غاية ما كانت تتمناه أن يحفظ ولدها من شفار الذباحين والمواسي والسكاكين فأعطاها الله كل ذلك، ورد إليها ولدها، وجعله من المرسلين كما قال تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص:٧] فلم تكن تتوقع أن تُربي وليدها في بيت فرعون وان تأتيها الهدايا من أجل إرضاع وليدها وأن تشفع فيمن شاءت من بني إسرائيل وفضلًا عن ذلك كله يجعل الله وليدها نبيًا من المرسلين، بل يصطفيه الله من سائر الخلق في زمانه بالرسالة التكليم.

❀ ❀ ❀

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ
كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ
فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨
فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ
يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ
لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي
بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١ وَمِنَ
ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ
حَٰفِظِينَ ٨٢ ﴾

[الأنبياء: ٧٤-٨٢].

س: وضح معنى ما يلي:

﴿حُكۡمًا - ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ - قَوۡمَ سَوۡءٖ - فَٰسِقِينَ - فِي رَحۡمَتِنَآ - ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ - نَفَشَتۡ فِيهِ - صَنۡعَةَ لَبُوسٖ - لِتُحۡصِنَكُم - مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ - عَاصِفَةٗ - بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ - يَغُوصُونَ لَهُۥ - دُونَ ذَٰلِكَ - حَٰفِظِينَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حُكۡمًا﴾	نبوة - فهمًا - فصلًا - بين الخصوم
﴿ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ﴾	المراد بها هنا (إتيان الذكران من العالمين)
﴿قَوۡمَ سَوۡءٖ﴾	أهل سوء وشر وفساد
﴿فَٰسِقِينَ﴾	خارجين عن الطاعة
﴿فِي رَحۡمَتِنَآ﴾	في نبوتنا - ضمن المرحومين من عبادنا
﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	الطوفان الذي عمَّ الأرض وأغرق من عليها من أهل الكفر
﴿نَفَشَتۡ فِيهِ﴾	رعت فيه ليلًا
﴿صَنۡعَةَ لَبُوسٖ﴾	صنعة الدروع التي تقي سهام العدو وتقي ضربات السيوف
﴿لِتُحۡصِنَكُم﴾	لتمنعكم
﴿مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ﴾	من بطش غيركم بكم، من سهام عدوكم وسيوف عدوكم

﴿عَاصِفَةً﴾	شديدة الهبوب
﴿بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾	أكثرنا فيها من الخيرات- أكثرنا فيها من الأنبياء الذين أرسلناهم
﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾	يغوصون في البحار كي يأتونه باللؤلؤ ونحوه
﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾	غير ذلك، إضافة على ذلك
﴿حَٰفِظِينَ﴾	كاتب بين لأعمالهم محصين لها حافظين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا توبة أحد منهم بسوءٍ

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبينا لوطا عليه السلام فقد أتيناه حكما، قيل نبوةً، وقيل فصلاً بين الخصوم وفهما ووصيًا من عند الله ونجيناه من أهل القرية الشرير بين المفسدين الذين كانوا يأتونه الذكران من العالمين، وهي قرية سدوم على رأي جماهير المفسرين أما الخبائث فمن إتيان الذكران من العالمين ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ﴾ أي قومه كانوا قومًا فاسقين، خارجين عن طاعته لله عز وجل مرتكبين للعمل التي بها صاروا أهل فسق وشر وفساد.

وأدخلناه في رحمتنان قيل وأدخلناه في عداد الأنبياء الذين مننا عليهم بالنبوةن وقيل وأدخلناه في رحمتنا أي في الإسلام، وقيل أدخلناه فيمن رحمناهم وسلمناهم من العذاب الذي حلَّ بأقوالهم.

وبنحو الذي قلنا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وآتينا لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلما: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه لله من فرائضه.

وفي نصب لوط وجهان: أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتينا لوطا، والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا.

وقوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ يقول: ونجيناه من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سَدُوم التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران

في أدبارهم، وخَذْفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخرَ كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام.

وأخرج بسندٍ حسن عن السديّ، قال: أخرجهم الله، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذناه منه إنه من الصالحين: يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا، وكان ابن زيد يقول في معنى قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم عطف بذكر لوط -وهو لوط بن هاران بن آزر- كان قد آمن بإبراهيم، واتبعه، وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦]، فآتاه الله حكمًا وعلمًا، وأوحى إليه، وجعله نبيًا، وبعثه إلى سَدُومَ وأعمالها، فخالفوه وكذبوه، فأهلكهم الله ودَمَّر عليهم، كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز؛ ولهذا قال: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر

دل عليه الثاني؛ أي وآتينا لوطا آتيناه. وقيل: أي واذكر لوطا. والحكم النبوة، والعلم المعرفة بأمر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم. وقيل: ﴿وَعِلْمًا﴾ فهما؛ والمعنى واحد. ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ يريد سدوم. ابن عباس: كانت سبع قرى، قلب جبريل عليه السلام ستة وأبقي واحدة للوط وعياله، وهي زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين إلى حد السراة؛ ولها قرى كثيرة إلى حد بحر الحجاز وفي الخبائث التي كانوا يعملونها قولان: أحدهما: اللواط على ما تقدم. والثاني: الضراط؛ أي كانوا يتضارطون في ناديهم ومجالسهم. وقيل: الضراط وحذف الحصي وسيأتي. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ أي خارجين عن طاعة الله، والفسوق الخروج وقد تقدم. ﴿وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ في النبوة. وقيل: في الإسلام. وقيل: الجنة. وقيل: عنى بالرحمة إنجاءه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

❀ ❀ ❀

ذكر نبي الله نوح عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر نبي الله نوحًا عليه السلام إذ دعانا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطًا دعانا كي ننتصر له من قومه الذين كذبوه وآذر وسخروا منه، دعانا بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠] وبقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح: ٢٦].

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ فأجبناه وسلمناه وحفظناه من الكرب العظيم، وهو الطوفان الهائل العظيم الذي عمَّ الأرض في زمانه، والذي ذُكر شأنه في سورة القمر إذ الله قال: ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القمر: ١١].

أما قوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي ونصرناه على القوم وانتصرنا له من القوم الذين كذبوا بآياتنا بأدلتنا على وحدانيتنا إنهم كانوا قوم سوء قومًا سيئوا المعتقد، يسيئون القول والعمل، فيعصون الله عز وجل ويشركون به ويسخرون من نبيهم صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كبارهم وصغارهم شيوخهم وشبابهم، رجالهم ونساءهمن إلا من آمن بنوح صلى الله عليه وسلم وصدقه واتبعه.

وبنحو الذي ذُكر قال أحمل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذّبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذّبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

ﵟٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ﵞ [نوح: ٢٦].

ﵟفَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥﵞ دعاءه، ﵟفَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥﵞ يعني بأهله: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ﵟمِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ﵞ يعني بالكرب العظيم: العذاب الذي أحل بالمكذّبين من الطوفان والغرق، والكرب: شدّة الغم، يقال منه: قد كربني هذا الأمر فهو يكربني كربا، وقوله: ﵟوَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚﵞ يقول: ونصرنا نوحا على القوم الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم، فأغرقناهم أجمعين، إنهم كانوا قوم سوء، يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذّبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حين دعا على قومه لما كذبوه: ﵟفَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ﵞ [القمر: ١٠]، ﵟوَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ﵞ [نوح: ٢٦، ٢٧]، ولهذا قال هاهنا: ﵟإِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥﵞ أي: الذين آمنوا به كما قال: ﵟوَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ﵞ [هود: ٤٠].

وقوله: ﵟمِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ﵞ أي: من الشدة والتكذيب والأذى، فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله عز وجل، فلم يؤمن به منهم إلا القليل، وكانوا يقصدون لأذاه ويتواصون قرنًا بعد قرن، وجيلا بعد جيل على خلافه.

وقوله: ﵟوَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِﵞ أي: ونجيناه وخلصناه منتصرًا من القوم

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٧٧﴾ أي: أهلكهم الله بعامة، ولم يُبْقِ على وجه الأرض منهم أحدًا؛ إذ دعا عليهم نبيهم.

ذكر داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهما يحكمان في الحرث إذا دخلت عليه غنم القوم ليلًا ترعى فيه فأتلفته وأهلكته، وحكم داود عَلَيْهِ السَّلَام بحكم وحكم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في ذلك بحكم آخر أفهمه إياه الله عَزَّ وَجَلَّ، فافهم الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه سليمان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوجه الصحيح في الحكم وجه الحق والصواب، ثم إن الله عَزَّ وَجَلَّ أثنى على هذين النبيين الكريمين حتى لا يظن ظآن بأحدهما سوءًا أو شرًا، فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾، نبوة وعلمًا بالشرائع الأحكام، وسخرنا مع داود الجبال تُسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته وكذا سخرنا معه الطير تسبح بتسبيحه وتصلي بصلاته ونحن الذين سخرنا له ذلك لا أحد سوانا، وكذا من فضلنا على هذا النبي الكريم أننا علمنه صنعة الدروع الواقيات التي تقي المحارب من سهام عدوه، كتلك القمصان الواقية التي يرتديها الملوك الرؤساء اتقاء للرصاص، علمنا داود صناعة الدروع السوابغ التي تغطي الجسم حتى تقي من سهام الأعداء، وقوله من بأسكم من بأس بعضكم أي عن السهام الشديدة التي يضربكم بها أعداءكم، وكذا من ضربات السيوف فهل قدمتم شكرًا لهذه النعم؟.

وأما عن هذه القضية قضية الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم، وقضى فيها هذان النبيان الكريمان فحاصلها أن قومًا كان لهم غنمٌ، وآخرون كان لهم حرثٌ، حرث أرض، ثمرٌ فدخلت غنم القوم ليلًا على حرث الآخرين ترعى فيها فأتلفت الغنم الحرث، فقضى داود عليه السلام بقضاءٍ حاصله أن أصحاب الحرث يأخذون الغنم مقابل ما أتلفته من الثمار والحرث فخرج الخصوم من عند دواود عليه السلام فمروا بسليمان عليه السلام فاستأذن أباه وقضى بقضاء آخر حاصله أن أصحاب الحرث الذي أُتلف يأخذوا الأغنام يستفيدوا من ألبانها وأصوافها ونتاجها (ما ولدته) حتى يصلح أصحاب الغنم الحرث والثمر ويعيدونه كما كان فإذا أعادوه كما كان، أخذوا أغنمهم وردوا للناس حرثهم. فهكذا أفهم الله سليمان عليه السلام كذا قال جمهور المفسرين، وهذه بعض أقوال العلماء في الآيات المذكورة.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث.

واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتا.

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كَرْما.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ والحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائز أن يكون ذلك كان زرعا، وجائز أن يكون غَرْسا، وغير ضائر الجهل بأيّ ذلك كان.

وقوله: ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا فرعته أو أفسدته ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ

﴿شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾ يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ يقول: ففهَّمنا القضية في ذلك ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ دون داود، ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أوّل هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة، وعلما: يعني وعلما بأحكام الله.

وأورد الطبري نحوه من طرق عن أبي إسحاق، عن مرّة، عن ابن مسعود، في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال: كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان غير هذا يا نبيّ الله، قال: وما ذاك؟ قال: يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دَفعت الكرم إلى صاحبه، ودَفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

وأورد نحوه عن ابن عباس بأسانيد فيها مقال قال ابن عباس قال: قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث، فخرج الرُّعاة معهم الكلاب، فقال سليمان: كيف قضى بينكم؟ فأخبروه، فقال: لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا، فأُخبر بذلك داود، فدعاه فقال: كيف تقضي بينهم؟ قال: أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث، فيكون لهم أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه، أخذ أصحاب الحرث الحرث، وردّوا الغنم إلى أصحابها.

وبإسناد حسن عن قَتادة، قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾...

الآية، النفْش بالليل، والهَمَل بالنهار.

وذُكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلا فُرفع ذلك إلى داود، فقضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورَسْلها وعوارضها وجُزازها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئه يوم أكل، دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعه، فقال الله ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾.

وبإسناده صحيح عن الزهري: والنفش لا يكون إلا ليلا فقضى داود أن يأخذ الغنم، ففهمها الله سليمان، قال: فلما أخبر بقضاء داود، قال: لا ولكن خذوا الغنم، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾... الآيتين، قال: انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته، فجاء إلى داود، فقضى فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت، وكأنه رأى أنه وجه ذلك، فمرّوا بسليمان، فقال: ما قضى بينكم نبيّ الله؟ فأخبروه، فقال: ألا أقضي بينكما عسى أن ترضيا به؟ فقالا نعم. فقال: أما أنت يا صاحب الحرث، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب، وأحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفشت فيه غنمك، فأعطه حرثه، وخذ غنمك، فذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ وقرأ حتى بلغ قوله: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾.

وقوله: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قتادة، قوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾: أي يصلين مع داود إذا صلى.

وقوله: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أمّ الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾.

يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا، يدلّ على ذلك قول الهُذليّ:

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلَّبِيسِ كَأَنَّهُ ... رَوقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة، قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أوّل من صنع هذا الحلق وسرد داود.

وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝٨٠﴾ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علّمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

وقولــــــــه: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾: وذلك لطيب صوته بتلاوة كتابه الزبور، وكان إذا تَرَنَّم به تقف الطير في الهواء، فتجاوبه، وتَرد عليه الجبال تأويبًا؛ ولهذا لمَّا مَرَّ النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري، وهو يتلو القرآن من الليل، وكان له صوت طيب جدًّا . فوقف واستمع لقراءته، وقال: «لقد أوتي هذا مزامير آل داود». قال يا رسول الله، لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا .

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنْج ولا بربط ولا مزمار مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه، ومع هذا قال: لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود.

وقولـه: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ ﴾ يعنـي صـنعة الدروع.

قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلَقًا. كما قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ ﴾ [سبأ:١٠، ١١] أي: لا توسع الحلقة فتقلق المسمار، ولا تغلظ المسمار فتَقُدّ الحلْقة؛ ولهذا قال: ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ ﴾ يعنـي: في القتـال، ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ أي: نعـم الله عليكم، لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم.

وقال القرطبي رحمه الله:

الأولـى: قولـه تعـالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ أي واذكرهمـا إذ يحكمان، ولم يرد بقوله: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ ﴾ الاجتماع في الحكم وإن جمعهما في القول؛ فإن حكمين على حكم واحد لا يجوز. وإنما حكم كل واحد منهما انفراده؛ وكان سليمان الفاهم لها بتفهيم الله تعالى إياه. ﴿فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ اختلف فيه على قولين: فقيل: كان زرعا؛ قال قتادة. وقيل: كرما نبت عنا قيده؛ قال ابن

مسعود وشريح. و ﴿ٱلۡحَرۡثِ﴾ يقال فيهما، وهو في الزرع أبعد من الاستعارة.

الثانية: ﴿إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي رعت فيه ليلا؛ والنفش الرعي بالليل. يقال: نفشت بالليل، وهملت بالنهار، إذا رعت بلا راع. وأنفشها صاحبها. وإبل نفاش. وفي حديث عبد الله بن عمرو: الحبة في الجنة مثل كرش البعير يبيت نافشا؛ أي راعيا؛ حكاه الهروي. وقال ابن سيده: لا يقال الهمل في الغنم وإنما هو في الإبل.

الثالثة: ﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ دليل على أن أقل الجمع اثنان. وقيل: المراد الحاكمان والمحكوم عليه؛ فلذلك قال ﴿لِحُكۡمِهِمۡ﴾.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ أي فهمناه القضية والحكومة، فكنى عنها إذ سبق ما يدل عليها. وفضل حكم سليمان حكم أبيه في أنه أنه أحرز أن يبقي كل واحد منهما على متاعه، وتبقي نفسه طيبة بذلك؛ وذلك أن داود عليه السلام رأى أن يدفع الغنم إلى صاحب الحرث. وقالت فرقة: بل دفع الغنم إلى صاحب الحرث.

❊ ❊ ❊

س: يفر الكثيرون من أهل العلم من العمل بالقضاء فهل لهم وجهة في ذلك؟ وما وجه الصواب في ذلك:

ج: الوجه في ذلك، والله أعلم، أن يُقال الشخص إذا كان قويَّ الإيمان ويطع في أن يقضي بين الناس بالحق وينتصر للمظلوم من ظالمه فليعمل، وله في ذلك أجر، وقد قال تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾ [الأعراف: ١٨١] وقال تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ...﴾ [النساء: ١٣٥] وأيضًا قال ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن**

ﷻ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا».

وقال ﷺ: «إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وَلوا».

وقال ﷺ: «تعدل بين الاثنين صدقة».

أما إذا كان الشخص جاهلًا ولا يدري حكم الله ولا يدري أين الحق، ولا يمكن التوصل إلى ذلك، وإنما واده المنصب فقط، فالأولى له البعد عن هذا كله درءًا للفتنة وإيثارًا للسلامة.

أم ما قد يرد على القاف القوال بالحق من الأخطاء فذلك مدفوع بما ورد عن رسول الله ﷺ في شأن الحاكم المجتهد، وأن له أجرًا إذا أخطأ.

هذا، وقد أورد الحافظ ابن كثير بسندٍ صحيح:

عن حميد؛ أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن فبكى، قال ما يبكيك؟ قال يا أبا سعيد، بلغني أن القضاة: رجل اجتهد فأخطأ، فهو في النار، ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة. فقال الحسن البصري: إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان، عليهما السلام، والأنبياء حكمًا يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم، قال الله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود. ثم قال -يعني: الحسن-: إن الله اتخذ على الحكماء ثلاثًا: لا يشترون به ثمنًا قليلا ولا يتبعون فيه الهوى، ولا يخشون فيه أحدًا، ثم تلا ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [المائدة:٤٤].

قلت: أما الأنبياء، عليهم السلام، فكلهم معصومون مُؤيَّدون من الله عز وجل. وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف، وأما من سواهم فقد ثبت في صحيح البخاري، عن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه «إياس» من أن القاضي إذا اجتهد فأخطأ فهو في النار، والله أعلم.

وفي السنن: «**القضاة ثلاثة: قاض في الجنة، وقاضيان في النار: رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضى بخلافه، فهو في النار**».

وقال القرطبي رحمه الله:

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت القضاة هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده. وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع إذا اختلفوا؛ فقالت فرقة: الحق في طرف واحد عند الله، قد نصب على ذلك أدلة، وحمل المجتهدين على البحث عنها، والنظر فيها، فمن صادف العين المطلوبة في المسألة فهو المصيب على الإطلاق، وله أجران في الاجتهاد وأجر في الإصابة، ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطئ في أنه لم يصب العين فله أجر وهو غير معذور. هذا سليمان قد صادف العين المطلوبة، وهي التي فهم. ورأت فرقة أن العالم المخطئ لا إثم في خطئه وإن كان غير معذور. وقالت فرقة: الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دلائل [بل] وكل الأمر إلى نظر المجتهدين فمن أصابه أصاب ومن أخطأ فهو معذور مأجور متعبد بإصابته العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط. وقال جمهور

أهل السنة وهو المحفوظ عن مالك وأصحابه ﷺ: إن الحق في مسائل الفروع في الطرفين، وكل مجتهد مصيب، والمطلوب إنما هو الأفضل في ظنه، وكل مجتهد قد أداه نظره إلى الأفضل في ظنه؛ والدليل على هذه المقالة أن الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض، ولم ير أحد منهم أن يقع الانحمال على قوله دون قول مخالفه. ومنه رد مالك رَحِمَهُ اللَّهُ للمنصور أبي جعفر عن حمل الناس «الموطأ»؛ فإذا قال عالم في أم حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله تعالى وبكل من أخذ بقوله، وكذا في العكس. قالوا: وإن كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم القضية المثلى والتي أرجح فالأولى ليست بخطأ، وعلى هذا يحملون قول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**إذا اجتهد العالم فأخطأ**» أي فأخطأ الأفضل.

س: اذكر مثالًا آخر يدل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ آتاه الله فهمصا في القضاء.

ج: ذلك ما أخرجه البخاري من حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما امرأتان معهما ابنان لهما، جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا. فدعاهما سليمان فقال: هاتوا السكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها، لا تَشُقه، فقضى به للصغرى**».

❀ ❀ ❀

دفاع الله ﷻ عن أوليائه

س: الله سبحانه وتعالى يدافع عن أنبيائه وأوليائه ويدفع التهم عنهم....منهم، اذكر ما يدل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

* دفاع الله عَزَّوَجَلَّ عن أهل الإيمان بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

* دفاع الله عن نبيه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ [يوسف: ٦٨] وذلك بعد قوله: ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ﴾ [يوسف: ٦٨].

* وكذلك ثناء الله على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عقب قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ ﴾.

* ودفاع عن رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما اتهمه أهل الضلال بالجنون.

﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٩].

* ودفاعه عن بقوله: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: ٦] عقب قولهم.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥].

وكذا التأييد بالمعجزات التي أمدَّ بها الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة التذكير بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ج: فائدة ذلك تنبيه القضاء على الحكم بالحق فإن الله عَزَّوَجَلَّ يشهد كل القضاء، ويعلم: أحوال كل الخصوم فإذا علم القضاة ذلك حملهم علمهم بأن الله يراهم على القضاء بالحق، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم وسخرنا لسليمان عليه السلام الريح شديدة سريعة إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين بكثرة ما أرسل إلى أهلها من الأنبياء وكثرة البركات والخيرات والزروع والثمار فيها وهي أرض الشام على رأي الأكثرين سليمان عليه السلام يسافر وترجع به الريح عاصفة إلى زيادة بالشام، وكذا سخرنا له طائفة من الشياطين يغوصون في فتح لبحار لاستخراج جميع أنواع الحلي التي تستخرج من البحار كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك، وكذا تعمل له الشياطين أعمالًا أخرى كما قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣] وأعمالًا آخرى ذلك أيضًا، أم قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ أي وكنا للشياطين حافظين لأي لهم ذاقوا لهم. مسطرين لها في كتبهم حتى يتوب ربهم عز وجل.

وبنحو ما ذُكر قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ﴾ بن داود ﴿ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وعصوفُها: شدة هبوبها؛ ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ يقول: تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال: عاصفة شديدة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها، قال: الشام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار بالنصب على المعنى الذي ذكرناه، وقرأ ذلك عبد الرحمن الأعرج ﴿ٱلرِّيحَ﴾ رفعا بالكلام في سليمان على ابتداء الخبر عن أن لسليمان الريح.

قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملا دون ذلك من البنيان والتماثيل والمحاريب ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يئودنا حفظ ذلك كله.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح العاصفة، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ وذلك أنه كان له بساط من خشب، يوضع عليه كل ما يحتاج إليه

من أمور المملكة، والخيل والجمال والخيام والجند، ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته، ثم تحمله فترفعه وتسير به، وتظله الطير من الحر، إلى حيث يشاء من الأرض، فينزل وتوضع آلاته وخشبه ، قال الله تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [ص:٣٦] ، وقال ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ:١٢].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ ﴾ أي: في الماء يستخرجون اللآلئ [وغير ذلك. ﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غير ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾. [ص: ٣٧، ٣٨].

وقوله: ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ أي: يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو مُحكَّم فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء؛ ولهذا قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة، أي شديدة الهبوب. يقال منه: عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف. وفي لغة بني أسد: أعصفت الريح فهي معصفة ومعصفة. والعصف التبن فسمي به شدة الريح؛ لأنها تعصفه بشدة تطيرها. وقرأ عبد الرحمن الأعرج وأبو بكر ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحُ ﴾ برفع الحاء على القطع مما قبله؛ والمعنى ولسليمان تسخير الريح؛ ابتداء وخبر. ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾

يعني الشام يروي أنها كانت تجري به وبأصحابه إلى حيث أراد، ثم ترده إلى الشام. وقال وهب: كان سليمان بن داود إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره. وكان امرأ غزاء لا يعقد عن الغزو؛ فإذا أراد أن يغزو أمر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب، أمر العاصف فأقلت ذلك، ثم أمر الرخاء فمرت به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص: ٣٦]. والرخاء اللينة. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ أي بكل شيء عملنا عالمين بتدبيره.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ أي وسخرنا له من يغوصون؛ يريد تحت الماء. أي يستخرجون له الجواهر من البحر. والغوص النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء، والهاجم على الشيء غائص. والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعله الغياصة. ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى ذلك من الغوص؛ قاله الفراء. وقيل: يراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك يسخرهم فيه. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي لأعمالهم. وقال الفراء: حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم، أو يهيجوا أحدا من بني آدم في زمان سليمان. وقيل: ﴿حَٰفِظِينَ﴾ من أن يهربوا أو يمتنعوا. أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره. وقد قيل: إن الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من استخراج الشياطين.

❀ ❀ ❀

س: الله ﷻ هو الذي يعلم أصحاب الصنائع صنائعهم، وإلا فهما بذلوا من جهدٍ للتعلم فلن يحصلوا علمًا، دلَّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾.

[البقرة: ٢٥١]

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

[النساء: ١١٣]

وقال ﷺ: «إن الله خلق كل صانع وصنعته».

❁ ❁ ❁

س: على شخص أن يبحث عن عمل يقتات منه ولا يمد يده للناس دلَّل على ذلك.

ج: من ذلك ما يلي:

قول النبي ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».

ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» فقال أصحابه: وأنت؟! فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة وقال النبي ﷺ: «كان زكريا نجارًا».

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتط على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا فيسأله أعطاه أو معه».

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه: قال «أُمرنا بالصدقة قال كنا نُحامل».

«أي نحمل على ظهورنا من أجل أن نأتي بمالٍ نتصدق به»...الحديث.

والنصوص في هذا كثيرة جدًّا.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضا يصنع الخوص، وكان يأكل من عمل يده، وكان آدم حراثا، ونوح نجارا، ولقمان خياطا، وطالوت دباغا. وقيل: سقاء؛ فالصنعة يكف بها الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها عن نفسه الضرر والباس. وفي الحديث: «**إن الله يحب المؤمن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل الملحف**». وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «الفرقان» وقد تقدم في غير ما آية، وفيه كفاية والحمد لله.

❁ ❁ ❁

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣
فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ
مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦
وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا
لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ
رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ
وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ وَٱلَّتِيٓ
أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ
لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ
فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣
فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ
كَٰتِبُونَ ٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٩٥

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ
كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾

[الأنبياء: ٨٣-٩٧]

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ - فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ - وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ - وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ - وَذَا ٱلْكِفْلِ - فِي رَحْمَتِنَآ - ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا - لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ - سُبْحَٰنَكَ - ٱلْغَمِّ - لَا تَذَرْنِي فَرْدًا - خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ - وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ - رَغَبًا - وَرَهَبًا - أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا - فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا - ءَايَةً - أُمَّتُكُمْ - أُمَّةً وَٰحِدَةً - وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ - فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ - وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ - فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ - حَدَبٍ - يَنسِلُونَ - شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾	أصابني المرض وتضررت به
﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾	فأجبناه
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾	ردد فاعلية أهله
﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾	تذكرة للعباد (حتى تقتدوا به ويتأسوا به)
﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾	الظاهر أنه نبيٌ من الأنبياء عليه السلام
﴿فِي رَحْمَتِنَآ﴾	في عداد من رحمناهم – في ثبوتنا
﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾	خرج عن بلاده مغاضبًا قومه
﴿لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾	لن نضيق عليه – لن فعاقبه
﴿سُبْحَٰنَكَ﴾	تنزهت عن كل مالا يليق بك

﴿ٱلۡغَمِّۚ﴾	ما يصيب الإنسان من بلاء يسبب له الهموم والأحزان- الهموم والأحزان
﴿لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾	لا تتركني وحيدًا- ارزقني ذرية
﴿خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾	خير من بقي بعد كل من الموت – أنت ترث الأرض من عليها وخير من ورث
﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾	قيل كان في لسانها شيء فأصلحها الله وأحسن أخلاقها وقيل كانت عاقرًا فأصلحها الله وجعلها مهيئة للولادة والإنجاب
﴿رَغَبٗا﴾	طمعًا فيما عندنا
﴿وَرَهَبٗاۖ﴾	خوفًا مما عندنا من العذاب
﴿أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾	حفظت فرجها من الحرام
﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾	قيل (نفخ جبريل في جيب درعها أي فتح فتحة القميص من أعلى تلك الفتحة التي تدخل منها الرأس) فتسربت النفخة حتى دخلت فيه
﴿ءَايَةٗ﴾	دلالة (على قدرتنا ووحدانيتنا)
﴿أُمَّتُكُمۡ﴾	ملتكم
﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾	ملةً واحدة

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾	افترقوا على رسلهم فمنهم من آمن ومنهم من كذَّب، ثم إن المكذبين افترقوا أيضًا فرقًا وشيعًا وأحزابًا
﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾	فلا جحود لمعروفه وإحسانه ولا ضياع لعمله
﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾	ممنوع على قرية- ممنوع أن ترجع قريةٌ بعد إهلاكها، وممنوع أن بطريق من كتبنا عليه الكفر، وأهلكناه بأن جعلناه من الكافرين (فيما قدرناه عليه)
﴿فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾	فتح السد والردم الذي أقامه ذم القرنين عليهم، وهما قبيلتان عظيمتان مفسدتان في الأرض من ذرية آدم عليه السلام
﴿حَدَبٖ﴾	مكان مرتفع
﴿يَنسِلُونَ﴾	يخرجون مسرعين
﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ﴾	مُركزين البصر لا تصرف أعينهم ولا ترتد إليهم أبصارهم

❁ ❁ ❁

ذكر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ أصابه المرض وطال به واستمر زمانًا فدعا ربَّه عَزَّ وَجَلَّ قائلًا أني مسني الضر (أي في بدني) وأنت أرحم الراحمين، فأجاب الله دعاءه فكشف ما به من ضرٍّ وأذهب ما به من مرض وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة من عند الله عَزَّ وَجَلَّ به وكي يتذكر العباد نبي الله أيوب فيصبروا كما صبروا ويكثروا من الدعاء كم أكثر من الدعاء وسأل ولا ييأسوا من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا ولأهل العلم أقوال في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾.

من هذه الأقوال ما يلي:

القول الأول: أنهم قد ماتوا فأحياهم الله عَزَّ وَجَلَّ له وزاده إليهم مثلهم بأن رُزق بأزواج وذرية أيضًا إضافة إلى الذين أحياهم الله.

القول الثاني: أنه ردَّ إليه أهله الذي كانوا قد ابتعدوا عنه وزاده أهلًا آخرين إما بزواج وإما بأية صلة من حملات القرابة.

القول الثالث: أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ وُعد بأن يجمعه الله بأهله الذين ماتوا، يجمعهم الله به في جنات النعيم، ورزق مثلهم في الدنيا، وها هي بعض الأقوال في عموم ما ذُكر.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد

مسه الضرّ والبلاء رب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهد، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحانًا من الله له واختبارًا.

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة آثار جلها إسرائيليات ولا يثبت منها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضربت عن ذكرها عمدًا ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في الأهل الذي ذكر الله في قوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ أهم أهله الذين أوتيهم في الدنيا، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة؟ فقال بعضهم: إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا، فإنهم لم يُرَدّوا عليه في الدنيا، وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة.

وقال آخرون: بل ردّهم إليه بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ قال الحسن وقتادة أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم.

وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي ردّه عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردّهما عليه.

وقوله: ﴿رَحۡمَةً﴾ نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له.

وقوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ يقول: وتذكرة للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يبتلي أولياءه ومن أحبّ من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارا منه له ليبلغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك

وتعالى من الكرامة عنده.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر تعالى عن أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحرث شيء كثير، وأولاد كثيرة، ومنازل مرضية. فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلي في جسده -يقال: بالجذام في سائر بدنه، ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر بهما الله عز وجل، حتى عافه الجليس، وأفردَ في ناحية من البلد، ولم يبق من الناس أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره، ويقال: إنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**» وفي الحديث الآخر: «**يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**».

وقد كان نبي الله أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ، غاية في الصبر، وبه يضرب المثل في ذلك.

وأورد ابن كثير أيضًا من الآثار منها ما عزاه إلى ابن أبي حاتم بسنده إلى عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه، كانا من أخص إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تَعَلَّم -والله- لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما أدري ما تقول، غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكرا الله إلا في حق. قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت**

امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى إلى أيوب في مكانه: أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب».

رفع هذا الحديث غريب جدًّا.

قلت: كذا استغرب ابن كثير رفع هذا الحديث لكن إسناده صحيح.

وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قد تقدم عن ابن عباس أنه قال: ردوا عليه بأعيانهم. وكذا رواه العوفي، عن ابن عباس أيضًا. وروي مثله عن ابن مسعود ومجاهد، وبه قال الحسن وقتادة.

وقال ابن كثير:

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا به ذلك رحمة من الله به، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: وجعلناه في ذلك قدوة، لئلا يظن أهل البلاء إنما فعلنا بهم ذلك لهوانهم علينا، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا. وقيل: ابتليناه ليعظم ثوابه غدا. ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ أي وتذكيرا للعباد؛ لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصبره عليه ومحنته له وهو أفضل أهل زمانه وطنوا أنفسهم على الصبر على شدائد الدنيا نحو ما فعل أيوب، فيكون هذا تنبيها لهم على إدامة العبادة، واحتمال الضرر. واختلف في مدة إقامته في البلاء؛ فقال ابن عباس: كانت مدة البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ليال. وهب: ثلاثين سنة. الحسن سبع سنين وستة أشهر. قلت: وأصح من هذا والله أعلم ثماني عشرة سنة؛ رواه ابن شهاب عن النبي صلى؛ ذكره ابن المبارك وقد تقدم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله صادق الوعد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وكذا اذكر إدريس عليه السلام الذي رمقه الله مكانًا عليًا، واذكر ذا الكفل كذلك وليس في الكتاب العزيز، ولا في السنة المباركة شيء ثابت عن ذي الكفل إلا بمثل هذا الاختصار، واذكر هؤلاء يا رسول الله فقد كانوا من الصابرين على أوامر الله الممتثلين لها، الصابرين على قضاء الله وقدره كذلك، وأدخلناهم في رحمتنا ضمن من رحمناهم وسلمناهم وقيل في النبوة، وقد كانوا من أهل الصلاح والعمل بالطاعات والبعد عن المحرمات.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وبإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبيّ وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء.

وأورد عدة آثار مفادها أن ذا الكفل هذا لم يكن نبيًا، وإنما كان رجلًا صالحًا تكفَّل بأن يعمل أعمالًا معنيةً من أعمال البر فوفَّى بذلك وقام بها خير قيام فسمى (ذا الكفل)

قلت (مصطفى): وليس في هذه الآثار شيء مرفوع إلى رسول الله ﷺ والسياق يقتضي أنه نبي، وذلك لاقترانه بإسماعيل وإدريس عليهما السلام، فالله أعلم.

ثم قال الطبري رحمه الله:

ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل، عطفا على أيوب، ثم استؤنف بقوله: ﴿كُلٌّ﴾ فقال: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٨٥)﴾ ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله.

وقوله: ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٦)﴾ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل، والهاء والميم عائدتان عليهم ﴿فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٦)﴾ يقول: إنهم ممن صلح، فأطاع الله، وعمل بما أمره

وقال ابن كثير رحمه الله:

أما إسماعيل فالمراد به ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم، وكذلك إدريس، عليه السلام وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مع الأنبياء إلا وهو نبي. وقال آخرون: إنما كان رجلا صالحًا، وكان ملكًا عادلا وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بسنده على ابن عن ابن عمر قال: سمعت من رسول الله ﷺ حديثا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين -حتى عدّ سبع مرات- ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: «كان الكفل من بني إسرائيل، لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا، على أن يَطَأها، فلما قعد منها مَقعدَ الرجل من امرأته، أرعِدَت وبكت، فقال: ما يبكيك؟

أَكْرَهْتُك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنما حَمَلني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟ فَنزل فقال: اذهبي فالدنانير لك. ثم قال: «والله لا يَعصي الله الكفل أبدًا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر الله للكفل».

وهل هو ذا الكفل المذكور في الآية.

ج: أما الحديث فضعيف الإسناد وهذا المذكور في الحديث اسمه الكفل أم المذكور في الآية الكريمة فهو ذا الكفل.

وقد قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بعد أن أورد هذا الحديث في تفسيره.

هكذا وقع في هذه الرواية «الكفل» ، من غير إضافة، فالله أعلم. وهذا الحديث لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وإسناده غريب، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث إن كان «الكفل» ، ولم يقل: «ذو الكفل» ، فلعله رجل آخر، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

س: مما فائدة التذكير بقوله تعالى ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾.

ج: فائدة ذلك والله أعلم، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يراهم فيقيموا أمر الله عَزَّوَجَلَّ يقضون بين الناس بالحق.

❊ ❊ ❊

ذكر نبي الله يونس عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله صاحب الحوت، وهو يونس صلى الله عليه وسلم وقيل صاحب الحوت لأن الحوت التقمه والحوت هو النون، اذكره يا رسول الله اذكر هذا النبي الكريم واذكر شأنه إذ ذهب مغاضبًا غضب من قومه لما تأخروا عن الإيمان وكذبوه فغضب منهم وخرج عن بلادهم بغير إذنه ربِّه عز وجل وقيل ذهب مغاضبًا لربِّه عز وجل لما أخر عنهم العذاب وقيل ذهب مغاضبًا لربه عز وجل لما طلب منه أن يخرج لإنذار قوم وفي وقت معين والظاهر هو الأول، أنه عليه السلام ذهب مغاضبًا قومه لما تباطؤوا عن الإيمان والله أعلم أما قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي فطن يونس عليه السلام أننا لن نضيق عليه وأنه إذا خرج عن قومه بغير إذن من الله لن يضيق الله عز وجل عليه ومعنى ﴿نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ هنا نضيق عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر: ١٥-١٦] فخرج يونس عليه السلام فابتلي بالذي ابتلي به على ما فصلناه في سورة القلم (سورة نون) فآل أمره إلى أن التقمه الحوت وهو مُليم وهنالك نزل الحوت به إلى قاع البحار فاجمعت عليه الظلمات ظلمة بطن الحوت وظله الليل البهيم وظلمه قاع البحار، فنادى في الظلمات أن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ تضمنت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) تضمنت إثبات وحدانية الله عز وجل وإلهيته وحده لا شريك له ونفي ما سواه مما يُعبد من دون الله تضمنت الكلمة

﴿ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ تنزيه الله ﷻ عن كل ما يصفه الواصفون المشركون، وتنزيه الله ﷻ عن كل وصفٍ لا يليق به.

﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ تضمنت إقرارًا بالذنب واعترافًا به.

فاستجاب الله له ونجاه مما هو فيه من الغم وليس أمرًا نجائه خاصًا به، بل كل من دعى الله ورجاه ولجأ إليه واستعان به التفريج كربه فإن الله يكشف عنه الضر ويجيب ويكشف عنه ما ألم به.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الحافظ ابن الكثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه القصة مذكورة هاهنا وفي سورة «الصافات» وفي سورة «ن» وذلك أن يونس بن مَتَّى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بعثه الله إلى أهل قرية «نينوى» ، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفُصْلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحُمْلانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس:٩٨].

وأما يونس، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فَلَجَّجت بهم، وخافوا أن يغرقوا . فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضًا، فأبوا،

ثم أعادوها فوقعت عليه أيضًا، قال الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [الصافات:١٤١]، أي: وقعت عليه القرعة ، فقام يونس، عليه السلام، وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله، سبحانه وتعالى، من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود- حوتًا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحمًا، ولا تهشم له عظما؛ فإن يونس ليس لك رزقا، وإنما بطنك له يكون سجنًا.

وقوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ يعني: الحوت، صحت الإضافة إليه بهذه النسبة.

وقوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾: قال الضحاك: لقومه،

وجنح ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيق عليه.

هذا، وقد أورد الطبري أقوالًا في تفسيره، وإن لم يرجحها إلا أنه لا يليق ذكرها في هذا المقام لمخالفتها أصولًا عامة، وكذا لعدم ثبوت شيء منها إلى صحابي، فضلًا عن عدم ثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

❁ ❁ ❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث «من دعا بدعاء يونس استجيب له».

ج: هذا ضعيف:

وقد أخرج الطبري من طريق على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الأعظم الذي إذا دعُي به أجاب وإذا سُئل به أعطى دعوة يونس بن متى قال رجل يا رسول الله ليونس خاصة أم الجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ

﴿إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ فهو شرط من الله لمن دعا به مكث (وسنده ضعيف) فيه علي بن زيد وهو ابن جدعان وهو ضعيف.

وأخرج ابن أبي حاتم بسندٍ ضعيف عن كثير بن معبد قال سألت الحسن قلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى؟

قال ابن أخي أما تقرأ القرآن؟ قول الله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قلت: وسنده ضعيف فيه كثير بن معبد لا يعرف وضعفه الأزدي.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم واذكر يا رسول الله نبي الله زكريا ﷺ إذ دعا ربَّه ﷻ، وكان هذا الدعاء خفيا كما في سورة مريم قائلًا في دعائه رب لا تذرني فردًا، لا تتركن وحيدًا بلا وريث وأنت خير من ورث فأجاب الله دعاءه ونداءه ووهب له وريثًا وهو يحيى ﷺ سيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين وأصلح الله له زوجته، وللعلماء في إصلاحها وجهان:

أحدهما: أنه سبحانه جعلها محلًا للولادة صالحة للولادة معيأةً لها.

الثانية: أن لسانها كان فيه شيء من حدة، وأخلاقها كان فيها شيء من الشدة كذلك فأصلحها الله تبارك وتعالى لزوجها.

أن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي أن زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وزوجته، وولدهما يحيى كل هؤلاء كانوا يسابقون إلى فعل الخيرات ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ يعبدوننا ويسألوننا ﴿رَغَبًا﴾ طمعًا فيما عندنا من الأجر والثواب ﴿وَرَهَبًا﴾ خوفًا مما عندنا من العقاب ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ كانوا متذللين لنا خاضعين لنا مطيعين لنا.

هذا، وقد أخذ بعض أهل العلم من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا﴾ أمرًا، وهو أن الدعاء يستحب أن يصاحب بعمل صالح، كصلاة، وأو صيام أو صدقة أو ذكر لله ﷻ أو نحو ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا﴾.

وهذه طائفة من أقوال العلماء في تفسير الآيات المذكورة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى﴾ وحيدا ﴿فَرْدًا﴾ لا ولد لي ولا عقب ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ يقول: فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني، ثم ردّ الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، يقول الله جلّ ثناؤه: فاستجبنا لزكريا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلحنا له زوجه.

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ فقال بعضهم: كانت عقيما فأصلحها بأن جعلها وَلُودا.

وأورد بإسنادٍ حسن:عن قتادة قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ كانت عاقرا، فجعلها الله ولودا، ووهب له منها يحيى.

وقال آخرون: كانت سيئة الخلق، فأصلحها الله له بأن رزقها حُسن الخُلُق.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لزكريا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخُلُق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخصُصِ الله جلّ ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يقول الله: إن الذين سميناهم، يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ ويعنى بقوله: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وقوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن عبده زكريا، حين طلب أن يَهبَه الله ولدا، يكون من بعده نبيًا. وقد تقدمت القصة مبسوطة في أول سورة «مريم» وفي سورة «آل عمران» أيضا، وهاهنا أخصر منهما؛ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: خفية عن قومه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: لا ولدَ لي ولا وارثَ يقوم بعدي في الناس، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ دعاء وثناء مناسب للمسألة.

قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ ﴾ أي: امرأته.

وأورد أقوالًا في قوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ بنحو مما ذكرنا واستظهر القول بأنها كانت عاقرًا لا تلد فولدت.

وأورد أقوالًا أيضًا في تفسير قوله: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ مفادها مصدقين، ومتواضعين ومتذللين وخائفين، وقال وكل هذه الأقوال متقاربة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي واذكر زكريا. وقد تقدم في «آل عمران» ذكره. ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي منفردا لا ولد لي وقد تقدم. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ أي خير من يبقى بعد كل من يموت؛ وإنما قال ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩﴾ لما تقدم من قوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ [مريم: ٦] أي أعلم أنك، لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بأمر الذين عن عقبي. كما تقدم في «مريم» بيانه.

قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾ أي أجبنا دعاءه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾. تقدم. ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ قال قتادة وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين: إنها كانت عاقرا فجعلت ولودا. وقال ابن عباس وعطاء: كانت سيئة الخلق، طويلة اللسان، فأصلحها الله فجعلها حسنة الخلق.

قلت: ويحتمل أن تكون جمعت المعنيين فجعلت حسنة الخلق ولودا.

﴿إِنَّهُمۡ﴾ يعني الأنبياء المسلمين في هذه السورة ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ وقيل: الكناية راجعة إلى زكريا وامرأته ويحيى.

قوله تعالى: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة. وقيل: المعنى يدعون وقت تعبد هم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف، لأن الرغبة والرهبة متلازمان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

ج: المعنى والله أعلم واذكر يا رسول الله مريم عليها السلام اليت حفظت فرجها ومنعته من الحرام فنفخنا فيها من روحنا كما في قوله تعالى: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ وقد تقدم الكلام على ذلك في سورتي مريم والتحريم أما قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾ أي وجعلنا مريم عليها السلام وابنها عيسى عليه السلام معجزةً للعالمين ودلالة على قدرتنا على خلق ولد من غير أب.

فكما رزقنا زكيا عليه السلام على الكبر، وكانت زوجته عاقرًا، كما رزقنا بالولد آنذاك، فأعظم من ذلك خلق عيسى عليه السلام من غير أب.

أما قوله تعالى ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ قيل لبشر، وقيل للإنس والجن.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم

قال الطبري رحمه الله:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران.

ويعني بقوله: ﴿أَحۡصَنَتۡ﴾: حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه.

واختلف في الفرج الذي عنى الله جلّ ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة.

وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرائيل منه قبل أن تعلم

أنه رسول ربها، وقبل أن تثبته معرفة، قالوا: والذي يدلّ على ذلك قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ ويعقب ذلك قوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ قالوا: وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام: والتي أحصنت جيبها ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في غير هذا الموضع، والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما عَلَما لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا قَرَن تعالى قصة مريم وابنها عيسى، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بقصة زكريا وابنه يحيى، عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ، فيذكر أولا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك مُوَطّئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طَعَن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى

بلا ذكر. هكذا وقع في سورة «آل عمران»، وفي سورة «مريم»، وهاهنا ذكر قصة زكريا، ثم أتبعها بقصة مريم، فقوله: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ يعني: مريم، عَلَيْهَا السَّلَامُ، كما قال في سورة التحريم: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم:١٢].

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١﴾ أي: دلالة على أن الله على كل شيء قدير، وأنه يخلق ما يشاء، و ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨٢]. وهذا كقوله: ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ﴾ [مريم:٢١].

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عَمْرو بن علي، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مُخَلَّد عن شَبِيب -يعني ابن بشر- عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: العالمين: الجن والإنس.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن هذه ملتكم ملةً واحدة وهي الإسلام، وأنا ربكم فأقروني بالعبادة وحدي لا شريك لي، ولا تعبدوا معي إلهًا آخر.

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة وأنا ربكم أيها الناس فاعبدوني دون الآلهة والأوثان، وسائر ما تعبدون من دوني.

قوال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ لما ذكر الأنبياء قال: هؤلاء

كلهم مجتمعون على التوحيد؛ فالأمة هنا بمعنى الدين الذي هو الإسلام؛ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما. فأما المشركون فقد خالفوا الكل. ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ﴾ أي إلهكم وحدي. ﴿فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ أي أفردوني بالعبادة.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ إن واسمها و﴿أُمَّتُكُمۡ﴾ خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ نصب على الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ [المؤمنون:٥١، ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد**»، يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣﴾.

ج: المعنى والله تعالى أعلم فتفرقت الأمم، وما كان ينبغي لها أن تتفرق، بل كان من الواجب أن تجتمع على عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، ولكن تفرقوا فرقًا وصاروا شيعًا وأحزابًا، فتهودت اليهود، وتنصَّر النصارى، وتنجست المجوس، وأشرك المشركون، وعُبد غير الله ﷻ.

ولكن كل هؤلاء لن يتركوا هملًا بلا حساب وثواب ولا عقاب، بل سنحاسبهم جميعًا فكلهم إلينا راهبون يوم القيامة نحاسبهم ونجازيهم على أعمالهم الحسن على إحسانه والمسيء بإساءته إلا الشرك فإنه لا يغفر ونعذب

من نشاء ونعفو عمن نشاء.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه، فصاروا فيه أحزابا، فَهَودت اليهود، وتنصَّرت النصارى وعُبدت الأوثان، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه، متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ قال: تقطعوا: اختلفوا، في الدين.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: اختلفت الأمم على رسلهان فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾، أي: يوم القيامة، [فيجازي] كل بحسب علمه، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم فمن يعمل فيكم عملًا صالحًا موافقًا لكتاب ربِّه ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وهو مخلص في ذلك لله ﷻ موحدٌ، مصدق بوعد الله ووعيده فلا جحود لعمله ولا نكران لعمله بل الله ﷻ شاكرٌ له سعيه ومكافؤه عليه، وكاتب له عمله في صحيفته وسيلقاه يوم يلقى ربَّه ﷻ.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه في أمره ونهيه ، وهو مقرّ بوحدانية الله؛ مصدّق بوعده ووعيده متبرّئ من الأنداد والآلهة ﴿ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجحده ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾ أي: قلبه مصدق، وعمل عملا صالحا، ﴿ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ ﴾ ، كقوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف:٣٠] أي: لا يُكْفَر سعيُه، وهو عمله، بل يُشْكَر، فلا يظلم مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أي: يُكْتَب جميعُ عمله، فلا يَضيع عليه منه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبعيض لا للجنس إذ لا قدرة للمكلف أن يأتي بجميع الطاعات فرضها ونفلها؛ فالمعنى: من يعمل شيئا من الطاعات فرضا أو نفلا وهو موحد مسلم. وقال ابن عباس: مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ أي لا جحود لعمله، أي لا يضيع

جزاؤه ولا يغطي والكفر ضده الإيمان. والكفر أيضا جحود النعمة، وهو ضد الشكر. وقد كفره كفورا وكفرانا. وفي ابن مسعود ﴿فَلا كُفْرَ لِسَعْيِهِ﴾. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ لعمله حافظون. نظيره ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥] أي كل ذلك محفوظ ليجازي به.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: وممنوع على قرية أمتنا أهلها أن يرجع أهلها إلى الدنيا مرة ثانية بعد أن أماتهم الله، والمراد أمتنا أهلها بعذاب وإهلاك وانتقام.

الثاني: وممنوع أن يُسلم أهل قرية أهلكناهم بأن طبعنا على قلوبهم وختمنا عليهم، فهؤلاء لن تجدي فيهم المواعظ ولن تنفع معهم الذكرى، فممنوع أن يرجعوا ويتوبوا وقد انتقمنا منهم بالطبع على قلوبهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد بإسنادٍ صحيح عن عكرمة أنه قال: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ قال لم يكن يرجع منه راجعن حرام عليهم ذلك.

قال الطبري:

ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكناها أن لا يرجعوا عن كفرهم، وكذلك إذا كان معنى قوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ ﴾. نوجبه، وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا،

وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.

أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد جنح إلى القول بأنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل الممات أي أن قدرًا مقدرًا أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

س: كيف توجه الآية الكريمة ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ مع ما ورد من إحياء الله عَزَّوَجَلَّ لبعض الموتى كما قال ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ج: التوجيه، أن يُقال والله أعلم أن هؤلاء الذين أماتهم الله ثم أحياهم مستثنى من العموم وكان لعلة.

قد يُقال إن قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾ أي أهلكناهم بعذاب فأمتناهم معذبين. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه (لا) في قوله ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

ج: قال بعض أهل العلم إنها صلة لتقوية الكلام وإلا فالمعنى ممنوع أن ترجع قرية إلى الدنيا ثانيةً، قال بعض العلماء إنها كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

وكقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩]. ونحو ذلك.

وقيل هي كقوله: (لا والله) والشخص يقصد القسم، لا يقصد نفي القسم. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض الوارد في شأن يأجوج ومأجوج.

ج: تقدم مبحث واسع في ذلك في تفسير سورة الكهف عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

ومما ورد هنالك أنهم من ذرية آدم عليه السلام وأنهم كثيرون جدًا وأن ما نُسج حولهم من كونه أذن أحدهم طويلة جدًا مثلًا أو أنف أحدهم طويلة جدًا أو غير ذلك من الأمور المستغربة غرابة شديدة لا يثبت منه شيء وارجع إلى سائر البحث هنالك وبالله التوفيق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾.

ج: هذا والله أعلم تذكير بيوم القيامة وشيء من مقدماته وعلاماته، فبين يدي يوم القيامة، ومن الأشراط الكبرى للساعة خروج يأجوج ومأجوج، فخروجهم ذلك زمن عيسى بن مريم عليه السلام، علامات الساعة الكبرى فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي فتح الردم الذي بينهم وبين الناس ذلكم الردم الذي بناه ذو القرنين كما في سورة الكهف إذ قال ذو القرنين ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف: ٩٥-٩٩].

فالحاصل أن قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ فتح الردم،

والسد الذي يحول بينهم وبين الناس.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

أي وحينئذ نخرج يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع مسرعين متجهين نحو الناس لإهلاكهم وتدميرهم.

وإن كان بعض العلماء قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قال إن ذلك المعنى به الموتى يخرجون من قبورهم من كل مكان مرتفع كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١].

لكن القول الأول أراه أصح في هذا المقام والله أعلم.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي إذا خرجت يأجوج ومأجوج فقد اقترب يوم القيامة ذلك اليوم الذي وعد الله ﷻ به وأنه كائن لا محالة فإذا جاء يوم القيامة إذا بأبصار الذين كفروا شاخصين لا تطرف مركزة البصر من شدة الهدى، يتولون يا ويلنا قد كنا في غفلة عن هذا الوقف، ثم ليستدركوا، إذ قد جاءتهم الرسل، فيعترفوا بذنوبهم قال قد جاءتنا النذر والرسل ولكن ظلمنا أنفسنا بما اجرمناه من شرك، وما ارتكبناه من كفر وبما تركنا العمل ليومنا هذا؟ الله أعلم.

وبنحو هذا قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحقّ ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب

والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جلّ ثناؤه.

وأما قوله: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة.

وقال آخرون: بل عني بذلك يأجوج ومأجوج، وقوله وهم كناية أسمائهم.

وصوت بالطبري القول الأخير الذي هو وهم من كل حدب يتسلون مستظهر ببعض الأدلة، وقد قدمت ذكرها في سورة الكهف.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأما قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ قاله يعني من كل شرف ونشز وأكمه.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان: أحدهما أن تكون كناية عن الأبصار، وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها، كما قال الشاعر:

لَعَمْــرو أبيهَــا لا تَقُــولُ ظعِينَتــي ألا فَــرّ عَنّــي مالـكُ بـنُ أبــي كَعْـبِ

فكنى عن الظعينة في: لعمرو أبيها، ثم أظهرها، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا.

والثاني: أن تكون عمادا كما قال جلّ ثناؤه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦] وكقول الشاعر:

فَهَـلْ هُـوَ مَرْفُـوعٌ بِمـا هَهُنـا رأسْ

وقوله: ﴿ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار

الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحقّ بأهواله وقيام الساعة بحقائقها ، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء ، وفي الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذُكر عليه عنه ، وذلك يقولون من قوله: ﴿ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يقولون يا ويلنا، وقوله: ﴿ بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده ، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عزّ وجلّ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾: قد قدمنا أنهم من سلالة آدم، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين.

وقال: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الكهف:٩٨، ٩٩]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ أي: يسرعون في المشي إلى الفساد.

والحَدَب: هو المرتفع من الأرض، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو صالح، والثوري وغيرهم، وهذه صفتهم في حال خروجهم، كأن السامع مشاهد لذلك، ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر:١٤]: هذا إخبار عالم ما كان وما يكون، الذي يعلم غيب السموات والأرض، لا إله إلا هو.

وأورد ابن كثير ما أخرجه الطبري بإسناد صحيح عن عُبَيد الله بن أبي يزيد

قال: رأى ابْن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض، يلعبون، فقال ابن عباس: هكذا يخرج يأجوج ومأجوج.

وما أخرجه أحمد والطبري وغيرهما بسندٍ حسن عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل، وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يُفْتَحُ يَأْجُوجُ ومأْجُوجَ فَيَخْرُجُونَ على النَّاسِ كمَا قال الله عز وجل ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ فَيَغْشَوْنَ الأرْضَ، ويَنْحازُ المُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهمْ وحُصونِهِمْ، وَيَضُمَّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشِيهِمْ، فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرض**... الحديث.

قال ابن كثير:

وقوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ يعني: يوم القيامة، إذا وُجدت هذه الأهوال والزلازل والبلابل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت قال الكافرون: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨﴾ [القمر:٨]. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام: ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ أي: يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي: في الدنيا، ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٩٧﴾، يعترفون بظلمهم لأنفسهم، حيث لا ينفعهم ذلك.

❀ ❀ ❀

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا
ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا
ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى
ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ
إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ
أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾
قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

[الأنبياء: ٩٨-١١٢].

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ - وَٰرِدُونَ - مَّا وَرَدُوهَا - زَفِيرٌ - سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ - حَسِيسَهَا - ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ - كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ - ٱلزَّبُورِ - ٱلذِّكْرِ - لَبَلَٰغًا - مُّسْلِمُونَ - تَوَلَّوْا۟ - ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ - وَإِنْ أَدْرِىٓ - ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ - مَا تَكْتُمُونَ - فِتْنَةٌ لَّكُمْ - وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ - ٱلْمُسْتَعَانُ - عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿حَصَبُ﴾	حطب جهنم - وقود جهنم
﴿جَهَنَّمَ﴾	تحصبهم جهنم
﴿وَٰرِدُونَ﴾	داخلون
﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾	ما دخلوها
﴿زَفِيرٌ﴾	صوت الهواء الخارج هواء عظيم خارج من الفم والأنف
﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾	كتبنا لهم السعادة قبل خلقهم، وكتبنا لهم الجنة
﴿حَسِيسَهَا﴾	صوت النار وصوت حركتها ولهيبها
﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾	الخوف العظيم لنفخ في الصور - البعث والقيامة
﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾	كما تطوى الصحيفة على ما فيها من المكتوب وقيل كما يطوى الغلاف على ما فيه من أوراق

﴿ٱلزَّبُورِ﴾	الكتب التي أنزلها الله ﷻ على عموم أنبياءه، وقيل الزبور الكتاب الذي أنزل الله على داود عليه السلام وقيل الزبور التوراة
﴿ٱلذِّكۡرِ﴾	اللوح المحفوظ، وقيل الذكر التوراة
﴿لَبَلَٰغًا﴾	الكفاية وغُنية، لإنذارًا
﴿مُّسۡلِمُونَ﴾	مستسلمون لله خاضعون له موحدون تشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتفعلون ما يلزمكم به إسلامكم
﴿تَوَلَّوۡاْ﴾	أعرضوا
﴿ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾	أخبرتكم حتى تكون نحن فأنتم على علم بأعلم بعضنا عدوٌ لبعض
﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ﴾	ما أدري – ما أعلم
﴿ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾	ما ظهر من القول
﴿مَا تَكۡتُمُونَ﴾	ما خفي من القول = ما تخفون من القول ما يتحدثون به في أنفسكم
﴿فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾	اختبار لكم وابتلاء
﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾	ما تتمتعون به إلى زمن الموت
﴿ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	على ما تصفونني به من قولكم عني كذاب ساحر وشاعر وكاهن وغير ذلك وكذا ما تصفون به ربكم من أن له شريك وله ولد وغير ذلك

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾.

ج: المعنى والله أعلم إنكم يا أهل الكفر وألهتكم التي تعبدونها من دون الله ﷻ وقود جهنم وحطبًا، كما قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦] أنتم جميعًا لها داخلون، ولو كانت هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، لو كانت آلهة حقًا ما دخلتها، ولا تركتكم تدخلونها، بل لدافعت عن نفسها، ودافعت عن عابديها بل تكلم فيها خالدون.

هذا، وقد قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أقوالًا أُخر إضافةً إلى ما ذُكر، منها أن جهنم تحصبهم أي تقذف بهم، تقذف بهم من مكان إلى مكان من شدتها، وقيل تقذفهم بشررها العظيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المرسلات: ٣٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة.

وقال: وأما حصب جهنم فقال بعضهم معناه وقود جهنم وشجرها.

وقال آخرون: بل معناه حطب جهنم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يُرمى بهم في جهنم وأورد قراءتين في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

أحدهما بالصاد، والآخر بالطاء، وأختار قراءة من قرأ بالصاد ثم قال فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب

عند العرب: الرمي، من قولهم: حصبت الرجل: إذا رميته، كما قال جلّ ثناؤه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ [القمر: ٣٤] كان الأولى بتأويل ذلك قول من قال: معناه أنهم تقذف جهنم بهم ويرمى بهم فيها، وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمين: الحطب، فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح، وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد. وأما قوله: ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون، يقول: داخلون.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضر عنها، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائز أن يكون إلها. وقوله: ﴿وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماكثون في النار أبدا بغير نهاية، وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ قال: التي عبد القوم قال: العابد والمعبود.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخاطبا لأهل مكة من مشركي قريش، ومن دان بدينهم من

عبدة الأصنام والأوثان: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، قال ابن عباس: أي وقودها، يعني كقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[التحريم: ٦].

وقال ابن عباس أيضا: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ بمعنى: شجر جهنم. وفي رواية قال: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ يعني: حطب جهنم، بالزنجية.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: حطبها. وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما.

وقال الضحاك: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أي: ما يرمى به فيها.

وكذا قال غيره. والجميع قريب.

وقوله: ﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ أي: داخلون.

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ يعني: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار، ولما دخلوها، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ أي: العابدون ومعبوداتهم، كلهم فيها خالدون.

وقال القرطبي رحمه الله:

في قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ كل ما ألقيته في النار فقد حصبتها به. ويظهر من هذه الآية أن الناس من الكفار وما يعبدون من الأصنام حطب لجهنم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]. وقيل: إن المراد بالحجارة حجارة الكبريت؛ على ما تقدم في «البقرة» وأن النار لا تكون على الأصنام عذابا ولا عقوبة؛ لأنها لم تذنب، ولكن تكون عذابا على من عبد ها: أول شيء بالحسرة، ثم تجمع على النار فتكون نارها أشد من كل نار، ثم يعذبون بها. وقيل: تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل: إنما جعلت في النار تبكيتا لعبادتهم.

قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝٩٨﴾ أي فيها داخلون. والخطاب للمشركين عبده الأصنام؛ أي أنتم واردوها مع الأصنام. ويجوز أن يقال: الخطاب للأصنام وعبدتها؛ لأن الأصنام وإن كانت جمادات فقد يخبر عنها بكنايات الآدميين. وقال العلماء: لا يدخل في هذا عيسى ولا عزير ولا الملائكة صلوات الله عليهم؛ لأن «ما» لغير الآدميين. فلو أراد ذلك لقال: «ومن». قال الزجاج: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ أي لو كانت الأصنام آلهة لما ورد عابدوها النار. وقيل: ما وردها العابدون والمعبودون؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٩٩﴾.

❁ ❁ ❁

س: النصارى يعبدون المسيح، واليهود قبلهم يعبدون عزيرًا، وطوائف من أهل الشرك يعبدون الملائكة، ومعلوم أن المسيح عيسى عليه السلام نبي مرسلٌ مقربٌ من المقربين وجيهًا في الدنيا والآخرة، وكذا الملائكة المقربون، وكذا عزير فكيف يوجَّه هذا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ۝٩٨﴾.

ج: ذلك من وجهين:

أحدهما: أن الله ﷻ استثنى من لم يرض بعبادته من أهل الصلاح إذ قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١﴾.

الثاني: أن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ما لغير العاقل فالمراد بها الأصنام والحجارة والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم: لأهل النار، وهم في النار زفيرٌ، وهو الهواء الخارج من أنوفهم وأقوامهم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ فالشهيق الهواء الداخل الزفير الهواء الخارج.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ فللعلماء فيه أقوال:

أحدهما: أنهم لا يسمعون شيئًا لأنهم يحشرون على وجوههم عميًا وبُكما وصُمًا.

الثاني: أنهم لا يسمعون شيئًا يسرهم.

الثالث: أنهم لا يسمعون عذاب بعضهم فكل يعذب ولا يظن أن أحدًا يعذب غيره، فقد وضح في تابوت، والتابوت وضع في تابوت آخر حتى لا يسمع.

أي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾. فمعناه إن الذين سبق، وأن قضينا لهم بأنهم سيكونون من أهل الجنة، وكتبنا لهم ذلك قبل أن يخلقوا، ويدخل فيهم عزيرٌ والمسيح والملائكة هؤلاء عن النار مبعدون لا يسمعون حسيس النار، صوت لهيبها، وحركتها وقيل إذا دخل أهل الجنة لا يسمعون حسيس أهل النار، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي وهم في النعيم الذي تشتهيه أنفسهم من مآكل ومشارب ومساكن ومناكح ومنازل باقون خالدون لا يتمولون ولا تردلون عنه ولا يخرجون منه وكذا:

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ أي لا يخافون الفزع الأكبر، ولا يحزنون عند حلوله بالناس بل هم آمنون مطمئنون، وقد خلف العلماء في الفزع الأكبر حتى يكون؟ فقيل إنه الفزع الكائن عند النفخ في الصور، وقيل إنه حلول الموت وقيل إنه البعث من القبور، وقيل إنه الأمر ببعض الناس أن يُدفع بهم إلى النار فالحاصل أن أهل الإيمان مطمئنون، من فضل الله عليهم ورحمته بهم؟ اذهب عنهم الحزن والفزع.

أما قوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي وتتلقاهم الملائكة يبشرونهم قائلين لهم هذا يومكم يا أهل الإيمان الذي كن لله ﷻ وعدكم به في دنياكم، فهذا هو يومكم الذي تكافؤن فيه وتكرمون فيه وتنزلون فيه أجمل المنازل أحسن المنازل.

وبنحو هذا قال العلماء:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات المذكورة:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿لَهُمْ﴾ المشركين وآلهتهم، والهاء، والميم في قوله: ﴿لَهُمْ﴾ من ذكر كل التي في قوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾، يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ يقول: وهم في النار لا يسمعون.

وأورد الطبري من طريق المسعودي:

عن يونس بن خباب، قال: قرأ ابن مسعود هذه الآية ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ قال: إذا ألقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت أخرى، ثم جعلت التوابيت في توابيت أخرى

فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذّب غيره، ثم قرأ ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

قلت (مصطفى): وأورد الحافظ ابن كثير من طريق عبد الرحمن المسعودي عن أبيه عن ابن مسعود بنحوه. عزاه لابن أبي حاتم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ به، فقال بعضهم: عني به كل من سبقت له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبعد.

وقال آخرون: بل عني: منْ عبد من دون الله، وهو لله طائع ولعبادة من يَعبد كاره.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ ما كان من معبود، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفّار، لأن قوله تعالى ذكره: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس، فكأن المشركين قالوا لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾: ما الأمر كما تقول، لأنا نعبد الملائكة، ويعبد آخرون المسيح وعُزَيرا، فقال عزّ وجلّ ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك، وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون، لأنهم غير معنيين بقولنا ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، فأما قول الذين قالوا ذلك

استثناء من قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ فقول لا معنى له، لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جانٌّ، وكلّ هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَب جهنم بما، قال: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لا من كان من الملائكة والإنس، فإذا كان ذلك كذلك لما وصفنا، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ جواب من الله للقائلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ، وأما الحُسنى فإنها الفُعلى من الحسن، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ قال: الحسنى: السعادة، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهله من الله.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحسّ.

وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ماكثون فيها، لا يخافون زوالًا عنها، وال انتقالًا عنها.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

واختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر: أي: الفزع هو؟ فقال بعضهم: ذلك النار إذا أطبقت على أهلها.

وقال آخرون: بل ذلك النفخة الآخرة.

وقال آخرون: بل ذلك حين يؤمر بالعبد إلى النار.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعدَه أحرى أن لا يفزَع، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده.

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهنئونهم يقولون ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ فيه الكرامة من الله والحِباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصَبون في الدنيا لله في طاعته.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ قال: هذا قبل أن يدخلوا الجنة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسُله، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: وقال: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله

مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ﴾ أي: حريقها في الأجساد.

وقوله: ﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾، فسلمهم من المحذور ولمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب.

هذا، وقد أورد ابن كثير أقوالًا نحوًا مما ذكرته في تفسير ﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ ثم قال:

وقوله: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾.

يعني: تقول لهم الملائكة، تبشرهم يوم معادهم إذا خرجوا من قبورهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾. أي: قابلوا ما يسركم.

س: ما مدى صحة هذا الأثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي ﷺ فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ٩٨﴾، فقال ابن الزبعرى: قد عُبِدت الشمس والقمر والملائكة، وعُزَير وعيسى ابن مريم، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨]، ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾. رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه «الأحاديث المختارة».

ج: هذا يُحسن لشواهده، وانظر السؤال الآتي.

❋ ❋ ❋

س: هل صح لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ سبب نزول؟

ج: نعم صح لها سبب نزول، يصح لشواهده أخرج الطحاوي في مشكل الآثار من طريق عبيد بن رجال، حدثنا الحسن بن علي الحلواني، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى، عن ابن عباس، قال: آية في كتاب الله لا يسألني الناس عنها ولا أدري أعرفوها فلا يسألوني عنها أم جهلوها فلا يسألوني عنها؟ قيل: وما هي؟ قال: آية لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون شق ذلك على أهل مكة وقالوا: شتم محمد آلهتنا فقام ابن الزبعرى فقال: ما شأنكم؟ قالوا: شتم محمد آلهتنا قال: وما قال؟ قالوا: قال: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال: ادعوه لي، فدعي محمد ﷺ فقال ابن الزبعرى: يا محمد هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله؟ قال: «بل لكل من عبد من دون الله عز وجل» قال: فقال: خصمناه ورب هذه البنية، يا محمد ألست تزعم أن عيسى عبد صالح وعزيرا عبد صالح، والملائكة عباد صالحون، قال: «بلى»، قال: فهذه النصارى يعبدون عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، قال: فضج أهل مكة فنزلت: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير والملائكة أولئك عنها مبعدون قال: ونزلت: ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وهو الصحيح.

ولـه شواهد كثيرة يُحسن بها.

❁ ❁ ❁

س: ما العامل في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: واذكر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

الثاني: لا يحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب.

❁ ❁ ❁

س: هل ثبت شيء في أن السجل هذا صمٌ لملك أو اسمق لرجل؟ وما المراد بالسجل.

ج: لم يصح في ذلك خبرٌ عن رسول الله ﷺ، وقد أورد الطبري بعض الآثار، وفيها مقال، في ذلك وتعقبها بقوله:

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لنبينا ﷺ كاتب كان اسمه السجلّ ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل (كطي السجل للكتاب) واللام في قوله للكتاب بمعنى على.

قلت (مصطفى): والصحيح كما أشار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن السجل هو الصحيفة والمراد بالكتب المكتوب فيها، فالمعنى كطي الصحيفة على المكتوب فيها، أو كطي الدفتر على الأوراق المكتوبة ولموضوعة فيه أو كطي الغلاف على ما فيه من أوراق مكتوب فيها الأول أظهر كطي الصحيفة على الكلام المكتوب فيها والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فعلى هذا يكون معنى الكلام: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ أي:

على الكتاب، بمعنى المكتوب؛ كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: ١٠٣] أي: على الجبين، وله نظائر في اللغة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: هل السموات تطوى يوم القيامة؟

ج: نعم تطوى السموات يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة. ويطوي السماء بيمنه، ثم يقلو أنا الملك، أي ملوك الأرض؟**».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: «جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر: ٦٧]».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾.

ج: المعنى والله أعلم، ونعيدكم يا بني آدم كما بدأنا خلقكم أول مرة حفاة

عراةً غرلًا.

كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ أَلاَ وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام ......» الحديث.

أما قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ أي وعدًا وعدنا العباد به وأخذناه على أنفسنا وكان وعدنا مفعولًا ل يتخلف.

قال الطبري رحمه الله:

ومعنى الكلام: نعيد الخلق عُراة حفاة غُرْلا يوم القيامة، كما بدأناهم أوّل مرّة في حال خلقناهم في بطون أمَّهاتهم، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية، حتى لا يكون شيء سوانا.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالزبور، وما المراد بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن المراد بالذِّكر اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه أعمال العباد التي سيعلمونها ومقادير العباد، والزبور الكتب التي أنزلها الله ﷻ عمومًا.

الثاني: أن المراد بالزبور الكتب التي أنزلها الله ﷻ على الأنبياء من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بالذكر التوراة التي أُنزلت على موسى كما قال تعالى في شأن التوراة: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

القول الثالث: أن المراد بالذِّكر التوراة، وبالزبور الكتاب الذي أنزله الله عيل داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالزَّبور والذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بالزَّبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعُني بالذكر: أمّ الكتاب التي عنده في السماء.

وقال آخرون: بل عنيب الزبور: الكتب التي أنزلها الله على مَنْ بعد موسى من الأنبياء، وبالذكر: التوراة.

وقال آخرون: بل عني بالزبور: ربور داود، وبالذكر توراة موسى صلى الله عليهما.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض،

وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه: زبرت الكتاب وذَبرته : إذا كتبته ، وأن كلّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه ، فهو ذِكْر. فإذ كان ذلك كذلك ، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البينَة أنه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زَبور داود.

فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]. وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ ،الآية [النور:٥٥]. وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالأرض في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾.

ج: قال كثيرون من أهل العلم إن المراد بالأرض أرض الجنة، كما قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣﴾ [مريم: ٦٣].

وكقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

وكقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ ولغير ذلك أيضًا.

فإن قال قائل وكيف ورثوا الجنة، عمن ورثوها؟ فجوابه أن لكل شخص مقعدين مقعدٌ في الجنة، ومقعدٌ في النار، فإذا دخل أهل الجنه الجنة؟ وأهل النار النار، ورث أهل الجنة مقاعد أهل النار التي كانت لهم في الجنة لو أنهم آمنوا وورث أهل النار مقاعد أهل الإيمان التي كانت لهم لو لم يؤمنوا.

هذا وقال آخرون من أهل العلم إن المراد بالأرض الأرض في الحياة الدنيا.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد أرض الدنيا وأرض الجنة معًا.

وهذه بعد الأقوال في ذلك.

أورد الطبري عدة آثار في أن الأرض أرض الجنة.

وقال:

وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال آخرون: عني بذلك بنو إسرائيل، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به.

واستشهد لقوله ذلك بقول الله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ﴾ وقد ذكرنا قول من قال: ﴿أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ

﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ أنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد ﷺ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه عليّ بن أبي طلحة.

❀ ❀ ❀

س: ما المراد بالعلماء الصالحون.

ج: قيل هم أمة محمد ﷺ.

وقيل هم الصالحون عمومًا من كل الأمم، وهذا أظهر؟ والله أعلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم إن في هذا القرآن الذي أنزل عليك يا رسول الله لإنذارًا لقوم عابدين الله ﷻ مطيعة له.

وقول آخر قول إن في هذا القرآن الكفاية ومنفعة وغنيةص لقوم عبدوا الله ﷻ وأما عدة واختار الطريق الموصل إليه.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ لبلاغًا لمن عبد الهل بما فيه من الفرائض التي فرضها الله، إلى رضوانه، وإدراك الطلبة عنده.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لَبَلاغًا: لَمَنْفعةَ وكفاية لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم.

❀ ❀ ❀

س: قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ هل العالمين عموم الإنس والجن، أم عموم عموم الإنس أم أهل الإيمان من هؤلاء وأولئك؟ وكيف يكون رحمة للعالمين، والكافر معذبٌ يوم القيامة؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أحدها: وهو الذي اختاره أنه أرسل رحمة للعالمين كلهم إنسهم وجنِّهم مؤمنهم وكافرهم فمن اتبعه كان رحمة له ومن عصاه فهو الذي آخرَّ بنفسه واختار طريق الهلاك والعذاب.

وعلى سبيل المثال كما يكون القوم في حالة غرق وترسل إليهم فرق الإنقاذ؟ وتدلى لهم أطواق النجاة والحبال وبإمكانهم، ومن الله عليهم أن يأخذوها، فمن أخذها سلم، ومن تركها هلك.

القول الثاني: أنه رحمه للعالمين في الدنيا بإنقاذهم من الخسف والقذف ونحو ذلك، في الآخرة رحمة لمن اتبعه وسلك طريق والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟ فقال بعضهم: عني بها جميع العالم المؤمن والكافر.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ قال: العالمون: من آمن به وصدّقه، قال: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة، وقد جاء الأمر مجملا رحمة للعالمين، والعالمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب.القول الذي رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله.

وورد من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما عند الطبري وغيره.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ قال: من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عُوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله [تعالى]: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾: يخبر تعالى أن الله جَعَل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قَبِل هذه الرحمةَ وشكَر هذه النعمةَ، سَعد في الدنيا والآخرة، ومن رَدّها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]، وقال الله تعالى في صفة القرآن: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[فصلت: ٤٤].

وأورد حديث أبي هريرة ﵁ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**». انفرد بإخراجه مسلم.

❀ ❀ ❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

ج: المعنى والله أعلم قل يا رسول الله لمن أرسلت إليهم إنما يومي إليَّ كما يومي للأنبياء من قبلي، أن الله ﷻ المعبود الذي نعبده إلهٌ واحد لا شريك له فهل أنتم مستسلمون له خاضعون له مقرون له بأنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه.

فإن أعرضوا عن ذلك فقل أخبرتكم حتى استوى أنا وأنتم في العلم بأن بعضنا عدوٌ للآخر ما لم تفردوا بوحدانية الله ﷻ وما أدري أيعجل كلهم العذاب أم يؤخر وما أدري أتقوم الساعة قريبًا أم بعد حين، وربي سبحانه وتعالى يعلم ما تجهرون به من الأقوال والأعمال وما تكتمونه في صدوركم وتخفونه فيها، وما تكتمونه عن الخلائق فهو سبحانه وتعالى يعلم السر وأخفى.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري ﵀:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: قل يا محمد: ما يوحي إلي ربي إلا أنَّه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد، لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي ذلك لغيره.

يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرّئون من عبادة ما دونه من آلهتكم؟.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان، بأن لا إله لهم إلا إله واحد، فأعرضوا عنه، وأبوا الإجابة إليه، فقل لهم قد ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب، لا صلح بينكم ولا سلم.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحلّ بكم عقاب الله الذي وعدكم، فينتقم به منكم، أقريب نزوله بكم أم بعيد؟

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول، ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلانيته، إنه لا يخفى عليه منه شيء، فإن أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله، صلوات الله وسلامه عليه، أن يقول للمشركين: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي: متبعون على ذلك، مستسلمون منقادون له.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: تركوا ما دعوتهم إليه، ﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم أني حَرْب لكم، كما أنكم حَرْبٌ لي، بريء منكم كما أنكم بُرآء مني، كقوله: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [يونس: ٤١]. وقال ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الانفال: ٥٨]: ليكن علمك وعلمهم بنبذ العهود على السواء، وهكذا هاهنا، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: أعلمتكم ببراءتي منكم، وبراءتكم مني؛ لعلمي بذلك.

وقوله: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ أي: هو واقع لا محالة، ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده، ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ أي: إن الله يعلم الغيب جميعه، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون، يعلم الظواهر والضمائر، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم، وسيجزيهم على ذلك، على القليل والجليل.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ فلا يجوز الإشراك به. ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي منقادون لتوحيد الله تعالى؛ أي فأسلموا؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي إن أعرضوا عن الإسلام ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي أعلمتكم على بيان أنا وإياكم حرب لا صلح بيننا؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال: ٥٨] أي أعلمهم أنك نقضت العهد نقضا، أي استويت أنت وهم فليس لفريق عهد ملتزم في حق الفريق الآخر. وقال الزجاج: المعنى أعلمتكم بما يوحى إلي على استواء في

العلم به، ولم أظهر لأحد شيئا كتمته عن غيره. ﴿وَإِنۡ أَدۡرِيٓ ﴾ ﴿إِنْ﴾ نافيه بمعنى ﴿مَا﴾ أي وما أدري. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ يعني أجل يوم القيامة لا يدريه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب؛ قاله ابن عباس. وقيل: آذنتكم بالحرب ولكني لا أدري متى يؤذن لي في محاربتكم.

وقال القرطبي أيضًا:

قولـه تعـالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ أي من الشرك وهو المجازي عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾.

ج: المعنى والله أعلم وما أدري ما سبب تأخير نزول العذاب عليكم، وم أدري ما سبب نزول العذاب عليكم، وما أدري ما سبب إمهالكم وترككم بلا عذاب، فهذا أمر موكولٌ إلى الله ﷻ، وما أنا إلا بشر ولكن لعلَّ هذا، لعلَّ تأخير نزول العذاب، ابتلاء لكم واختبار يريده الله ﷻ بكم، ولعله لمزيد من العذاب الذي يحل بكم لاستمراركم على الكفر وعدم انتفاعكم بالمواعظ، ولتزدادوا من الذنوب فيحل بكم أليم العقاب، ثم قال رسول الله ﷺ يا رب احكم بيني وبين هؤلاء وافصل بيني وبينهم بالحق الذي وعدتني به من نصر أوليائك والانتقام من أعدائك، وربنا الذي وسعت رحمته كل شيءن الذي هو بي رحيم هو الذي أستعين في كل شيء وأستعين به للانتصار منكم فيما وصفتموني به من أنني ساحرًا وشاعرًا وكذاب أو مجنون لكوني دعوتكم إلى توحيد الله ﷻ وعدم الشرك به.

وبنحو ذلك قال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعلّ تأخيره ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريدها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم ينزل بكم حينئذ نقمته.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذّبني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جلّ ثناؤه ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾ [الأنبياء: ٣] وقولكم: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ [الأنبياء: ٥] وفي كذبكم على الله جلّ ثناؤه وقيلكم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ [مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦] فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ﴾ أي لعل الإمهال ﴿فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ﴾ أي اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١﴾ قيل: إلى انقضاء المدة.

قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ﴾ ختم السورة بأن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده، أي احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين وانصرني عليهم.

﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ أي تصفونه من الكفر والتكذيب.